٣٥

مجلة
روايات أحلام

يأتي مع وردة

www.elromancia.com

مرموريا

مجلة روايات أحلام

يأتي مع وردة

«ـ أنت إذن تريد شرائي؟ تريد أن أصبح زوجتك، تاركاً لي حرية تحديد الثمن؟

ـ أنت صريحة جداً! لكن هذا ما أريد...».

هل انتهى عهد العلاقات الرومانسية: العشاء على ضوء الشموع، إرسال الزهور، الغزل والاعتراف بالحب؟

هو رجل لا يشبه الرجال. ضخماً، عملاقاً. أمواله تجعل رؤوس الرجال تنحني له.

هي تخلّت عن الشهرة والنجاح من أجل مساعدة الأطفال المحرومين.

إليوت تعوّد أن يحصل على كل ما يريد. بينما كل ما تحلم به نيكول حباً رومانسياً في عالم دون عواطف. فأين يمكن أن يلتقيا؟

www.elmaktabeh.com

١ ـ العملاق

كان هذا اليوم الأول الدافىء في حزيران، راحت فيه السيارة تشق طريقها في شوارع المدينة المزدحمة. نظرت نيكول بأسى خارج النافذة إلى المارين في الشوارع: ربات بيوت من الضواحي حضرن للتبضع اليومي، وعمال مكاتب وبائعات استراحوا خلال عطلة الصباح القصيرة يشربون القهوة ويأكلون الحلوى في أماكن صغيرة في الزوايا. كانوا جميعهم يرتدون ما يحلو لهم بعضهم في ملابس صيفية، أو في بذلات خفيفة الوزن، وأحذية مريحة للأقدام، والبعض الآخر في سراويل قصيرة وأخفاف لا تستر من أقدامهم إلا قليلاً. نظرت نيكول بقرف إلى ملابسها الفاخرة الأنيقة، حيث ثوبها الباهظ الثمن يلتصق بجسدها، حتى تكاد تعجز عن التنفس، وحيث الحذاء العالي يكاد يجعلها غير قادرة على السير السوي. قريباً ستتخلص من هذا كله... وعندها ستتمكن من مزاولة مهنة أخرى غير هذه التي أهم ما فيها إظهار جمالها.

استغرق عملها في تصوير بعض المشاهد الخارجية أربع ساعات... ما أن أنهته حتى كان الظهر قد انتصف... حوالي الثالثة.. فأحست نيكول بالارهاق، الانزعاج، والجوع.

أثناء عودتها بسيارة مؤسسة شركة الإرسال التلفزيوني علق السائق في زحام شديد في إحدى الزوايا في ضاحية شعبية. فجأة، وعبر نافذة السيارة المفتوحة، تنسمت رائحة مبهجة جعلت معدتها تخور، ولعابها يسيل في فمها، فتحت النافذة أكثر ومدت رأسها إلى الخارج، فشاهدت في الزاوية مقهى في الهواء الطلق، هو في الواقع كشك لبيع النقانق والهمبرغر، حوله بضعة طاولات صغيرة موضوعة على الرصيف، أغمضت عينيها، وأجبرت نفسها على مقاومة شهيتها للطعام.

لكنها سرعان ما ابتسمت.. لم لا؟ لن تحرّم على نفسها بعد الآن لذيذ الطعام، من الشوكولا ومن البندق أو المرطبات المثلجات! وبما أنهما على بعد خطوات من المؤسسة فلِمَ لا تسير بضع عشرات من الأمتار، في ثوبها السخيف الذي لا يلائم هذا الوقت من النهار فانحنت إلى الأمام، ولمست كتف السائق قائلة:

ـ انزلني هنا.. سأكمل طريقي سيراً.

بعد ساعة من هذا الوقت.. تراجعت نيكول في كرسيها المريح في غرفة الملابس في مؤسسة الإرسال، تلعق أصابعها، ثم أغمضت عينيها وتنهدت بسعادة، كانت الغرفة فارغة وهادئة قانعة هي فيها ممتلئة المعدة بعد تلذذها بتناول «التشيز برغر»، وعلبتين بطاطا مقلية وزجاجة مرطبات، ليست خالية من السكر.

بعد أن تعرضت لنظرات الزبائن المذهولة في المقهى من جرّاء فستان السهرة والمعطف الأسود لم تعد تملك الجرأة على الجلوس هناك لتناول تلك الوجبة العظيمة أمام الأنظار. كما أن ثمن الفستان الذهبي الباهظ الذي هو قطعة أصلية التفصيل جعلها لا تجرؤ على المخاطرة في تلويثه بقطعة دهن أو زيت أو «كاتشاب». فما كان

أمامها إلا أن تطلب علبة تحملها معها. ثم سارت بها نحو الشركة في هذا الحذاء الفظيع.. ودخلت غرفة الملابس فبدلت هذا الثوب وارتدت ثيابها الخاصة ثم انقضت على الطعام، الذي برد قليلاً، دون أن يفقد لذته.

ابتلعت آخر ما في زجاجة المرطبات، وتنهدت.. ثم تمطت، وبدأت تقف لتنظف المكان من البقايا. فجأة أحست بألم حاد ضرب منطقة المعدة وما تحتها. ابتلعت بحدة، وتمسكت بطرف الكرسي.. لكن الألم شرع بالانتشار، جالباً معه احساساً غريباً بالغثيان بدأ في معدتها ثم لم يلبث أن وصل إلى حلقها.

بدأت الغرفة تميد تحت قدميها، فأغمضت عينيها، تتأوه ألماً لكن احساسها بالغثيان تفاقم.. ما كان يجب أن تورط نفسها بطعام كثير الدهن بعد سنوات من الحمية القاسية الحذرة.

في تلك اللحظة سمعت صوتاً يناديها باسمها فرفعت رأسها فإذا بليونا هولت تدخل الغرفة. نظرت المرأة إليها فاسرعت تقف إلى جانبها:

ـ ماذا بك؟ تبدين شاحبة كالأموات.

ـ اوه.. ليونا... أشعر بالغثيان وسأتقيأ.

ـ لا.. حذار.

جذبتها عن الكرسي، ولفت ذراعها حولها ثم قادتها نحو النافذة المفتوحة.

ـ والآن، تنشقي بحدة. شهيق، زفير... هكذا بالضبط.. ثم استرخي.. أرخي عضلات معدتك... أفهمتِ؟.

هزت نيكول رأسها ثم طفقت تتنشق هواء الربيع العليل. بعد

قليلٍ تركتها ليونا وحدها بضع دقائق، ثم حين عادت كانت تحمل كوباً مليئاً بسائل ليس له لون تفور منه الفقاقيع:

ـ اشربي هذا.. سيشفيك من ألم المعدة.

ما.أن شربت نيكول ما في الكوب دفعة واحدة حتى أحست أنها أفضل حالٍ. فوضعت الكوب بضعف من يدها:

ـ شكراً لك.

ـ أفضل حالاً الآن؟.

ـ بكثير.. أظن أن علي الجلوس هادئة بعض الوقت.

ساعدتها ليونا في العودة إلى كرسيها، ثم جذبت كرسياً لها وجلست أمامها.. فأرجعت نيكول رأسها إلى الوراء متنهدة.. وإذا بالغثيان يتلاشى تدريجياً. سألتها ليونا:

ـ ماذا حدث؟ نوبة انفلونزا؟.

نظرت نيكول إلى المرأة الأكبر منها سناً بكآبة:

ـ لا تسأليني. إنها غلطتي الغبية. لكن يا إلهي.. كم كان طعم التشيزبرغر لذيذاً!.

قطبت ليونا:

ـ تشيزبرغر؟ أيتها الشقية الصغيرة!.

رفعت أصبعها تهزه في وجه نيكول ساخطة، لكن بعد لحظة.. ابتسمت، ثم ضحكت:

ـ أنت لا ترضين بانصاف الحلول. أليس كذلك عزيزتي؟ قلت إنك ستتوقفين عن العمل، وأنت تعنين ما تقولين.. وباصرار.

تنهدت نيكول:

ـ أجل.. للأسف.. لقد بدأت أتحسن.. شكراً لك. وأظن أنني قادرة على الذهاب إلى البيت الآن.

مدت يدها لتتناول حقيبتها اليدوية، ثم وقفت، وبدأت تترنح في الحال، فعادت إلى الجلوس متأوهة، فسألتها ليونا:

ـ ما الأمر؟ بدأت معدتك تؤلمك من جديد؟.

ـ قليلاً.. سأكون بخير لو جلست هادئة قليلاً.

حين كانت تبتسم مطمئنة أحست بالصدمة من مرأى نظرة القلق على وجه المرأة... فغمرتها حينئذٍ عاطفة عميقة تجاه هذه المرأة التي قادت لها طريقها في مهنتها، أصغت إلى مشاكلها، ساعدتها في إيجاد شقة لها، وأقرضتها المال في بداية الطريق حين كانت ممثلة مبتدئة. فقالت ببطء:

ـ ليونا.. أنا أنانية فظيعة لأنني سأتركك بعد ما فعلته لأجلي.

ـ لا.. أبداً.. تحدثت مع دون هذا الصباح بخصوص توقفك عن العمل، ووصلنا إلى قناعة بأننا نحن من كان أنانياً.. لقد جعلتنا نكسب أموالاً طائلة.. لذا ليس من حقنا الوقوف في طريقك بعد الآن.

ـ حسناً...

في تلك اللحظة أطل دون من الباب، وأخذ يشم الهواء، ثم دخل وهو يسأل:

ـ ماهذه الرائحة؟ أهي رائحة طعام مقلي؟ من كان يخالف تعليماتي؟.

بدا مضحكاً.. بشعره الأشقر المنتصب عند قمة رأسه وبعينيه

الواسعتين من الصدمة، وبيديه الغليظتين المتوقفتين في الهواء..
شرعت نيكول تضحك وهي تفكر في أنها ستفتقد دون. فهو أيضاً كان صديقاً حقيقياً لها خلال سنوات عملها في التمثيل.. جازف في جعلها تمثل أدوار مهمة في وقت لم تكن فيه معروفة بعد. منحها الفرصة الأولى في تمثيل دور هام في مسلسل ضخم.. لكن ألن يبقيا صديقين؟.

ردت ليونا متشنجة وهي تقف لتتقدم نحوه:

ـ لابأس دون. كيف تم الاجتماع؟ هل سيقبلون ببيتي؟.

هز دون رأسه.

ـ إما نيكول هانترز أو لا أحد.. كما أخشى!.

أمسكت به ليونا من ذراعه، وقادته إلى الباب:

ـ حسناً دون.. لن نزعج نيكول بهذا كله الآن. إنها ليست على ما يرام الآن، فلنذهب إلى مكتبي ولنتناقش...

فقالت نيكول:

ـ رويدكما.

التفتا معاً يراقبانها تسير نحوهما ببطء، ثم وقفت عابسة عدة لحظات مفكرة، ثم قالت تنظر إلى دون:

ـ حسناً.. أخبرني ما الأمر. سأصغي إليك، لكنني لن أعدك بالقبول.

فقالت ليونا:

ـ فلنذهب إلى مكتبي لنتحدث هناك.. أأنت بخير الآن؟ نيكول.

ـ بخير تماماً.. فلنذهب.

حين وصل الثلاثة إلى مكتب ليونا الحديث، وجلسوا في مقاعد «الكروم» ذات الجلد الأسود، حول طاولة منخفضة ذات سطح زجاجي.. انحنى دون نحو نيكول وانطلق يقول:

ـ هذا أهم مسلسل أقوم بإخراجه حتى الآن يا نيكول.. أنت تعرفين دون شك ما هي مؤسسة هنتلي وشركاه...

فكرت نيكول للحظات:

ـ أليست مؤسسة استثمار، أو شيء من هذا القبيل؟.

ـ إنها أكبر وأنجح مؤسسة في البلاد. منذ سنتين وأنا أعمل على اقناع مدير العلاقات العامة لديهم لتمويل هذا المسلسل.

ـ لكن ألم تتفق معهم.. أذكر أن لك علاقات طيبة معهم وقد قمت ببعض البرامج بتمويل منهم.

ـ صحيح.. لكنهم كانوا دائماً مقتصدين معي. الرئيس المباشر رجل لا يتحدث إلا عن الأموال واستثمارها.

قالت نيكول:

ـ أمر ممل.

ـ حسناً. هذا المسلسل الجديد سيكلف مبالغ باهظة.

ضحكت ليونا:

ـ حسناً.. ماذا في هذا؟

ضحك دون، وفتح يديه على وسعهما:

ـ اوه.. لقد بذلت جهدي لأقنعهم أخيراً بأنني قادر على اخراج هذا المسلسل التلفزيوني بنجاح كبير، بحيث يغدق المال علينا

www.elromancia.com

وعليهم.

انحنى نحوها ليزيد تأثير كلامه عليها:

ـ وأخيراً اخترقتهم.. لكن كما قلت سابقاً بشرط واحد، هو أن تقومي أنت بدور البطولة.

قالت نيكول بصوت صارم وهي تعرض عنه:.

ـ لا.. لن أقوم بالدور.

شاهدت نيكول من خلال زجاج الخزانة ليونا ودون ينظران إلى بعضهما بعضاً رافعي الحاجب، فاغري الفاه دليلاً على الصدمة.. وقال دون بصوت ناعم:

ـ اصغي إلي حبيبتي...

ـ دون.. منذ متى وأنا أقوم بالتمثيل لحسابكما؟.

حك رأسه:

ـ لست أدري.. خمس سنوات؟.

ـ صحيح.. وفي هذه السنوات الخمس طلبت منك خمسماية مرة ألا تناديني حبيتي. وأعود فأقول لك الآن، لا تناديني بـ «يا حبيبتي» ثانية.

احمر وجه الرجل المستدير، وفغر فمه:

ـ حسناً.. بالتأكيد.. نيكول... كما تشائين.

ـ شكراً لك.

فقالت ليونا:

ـ ألن تفكري في الأمر على الأقل؟.

كان لليونا مديرة الإنتاج في مؤسسة الإرسال التلفزيوني تأثير شخصي على ما كسبته نيكول في حياتها، وهي تعلم جيداً أنها تدين بنجاحها لها. لكنها كانت مصممة على عدم جعل عاطفتها تجاهها تؤثر على قراراتها.

ـ آسفة ليونا.. لقد فكرت كثيراً.. واتخذت رأيي. اسمعي تعلمين مدى امتناني لك ولدون لما قدمتماه من دعم لي في عملي.. لكن أرجوك.. حاولي أن تفهمي. لقد احترقت.. خمس سنوات كنت خلالها لا أفكر إلا بالمحافظة على رشاقتي وجمالي وعلى النجاح في التمثيل. لقد سئمت حتى الموت من الناس الذين يسعون إلي طالبين توقيعي أو يحدقون فيّ أينما ذهبت.

وأضافت لنفسها: خاصة ذلك الرجل.

لقد شاهدته مرة أخرى هذا الصباح أثناء ذهابها لالتقاط بعض المشاهد الخارجية. حين تحركت نحو السيارة شاهدته كعادته يقف على الرصيف، ظهره إليها، وكأنه يتأمل واجهة محل. لكنها كانت تعلم سابقاً أنه يراقبها... ثم التفت قليلاً لينظر إليها، فدخلت بسرعة وأوصدت الباب وراءها.

حين انطلقت السيارة، اختلست إليه نظرة من زاوية عينها، لكن كان كل ما رأته ظهره العريض وشعره الأسود الكثيف، عندما تحرك مبتعداً في الشارع.. كانت خطواته رشيقة جداً بالنسبة لرجل له جسد ضخم كهذا.

أغمضت عينيها تحاول رسم صورة لوجهه، لكن كل ما استطاعت تذكره، قسمات فظة، أنف كبير، وحاجبان سميكان.. فأحست بالارتجاف. لم تكن قسمات وجهه ما أزعجها إنما ذلك

الانطباع الشرير الذي رسمته له.

في البداية كان هذا يحدث مرة شهرياً.. في السنة الأخيرة راح ظهوره يتزايد، لكنها لم تعرف مقدار تزايده، فقد فقدت القدرة على العد، ولم تكن لتلاحظه على الأرجح إلا لأن له منظراً مميزاً لا يعقل أن تخطئه.

مميزاً؟ بل مرعباً هي الكلمة الأصح.. إنه أحد أبشع الرجال الذين رأتهم في حياتها. وليس هذا فقط بل أنه مديد القامة بشكل مخيف فطوله على الأقل مئة وخمسة وتسعين سنتمتراً. مع أن النظرات التي كانت تختلسها تجاهه كانت تظهر بها أنه يرتدي دائماً بزات رسمية أنيقة فاخرة، إلا أن الطريقة التي يملأ فيها تلك البزات تشير إلى أن تحتها جسد فائق القوة.

لم يزعجها قط، ولا تستطيع أن تقول إنه حدّق فيها مرة. لكن الحاسة السادسة أعلمتها بمراقبته لها، كانت دائماً تشعر به.. في هذا المكان، وفي الزاوية نفسها يقف بسببها.. لم يتحرك يوماً باتجاهها ولم يحاول حتى توجيه كلمة لها... لكنه كان دائماً هناك.. فقط.

شعرت فجأة أن دون وليونا ما زالا يجلسان هناك يحدقان إليها بصمت ينتظران منها أن تتابع الحديث.. فهزت رأسها:

ـ لن أقوى صبراً بعد الآن.

قال دون:

ـ اصغي إلي الآن...

لكن ليونا نظرت إليه شذراً فصمت، وابتسمت لنيكول:

ـ أعرف تماماً ما تشعرين به، فلست وحدك من سئم التمثيل.

لكن لماذا لا تقومين بهذه المهمة الأخيرة لأجل دون الذي عمل جاهداً للموافقة على تمويل مسلسله هذا؟

ضعفت نيكول.. فهي تعلم أهمية هذا البرنامج.. تنهدت وأغمضت عينيها.. فسارع دون يقول بحماس:

ـ إنه مسلسل تلفزيوني سيقودك إلى السينما التي ستفتح لك ذراعيها.

فتحت نيكول عينيها باتساع:

ـ السينما؟ هل جننت؟ إذا كان هناك أسوأ من التمثيل التلفزيوني فهو التمثيل السينمائي.. لماذا لا تطلب من بيتي أن تقوم بهذا الدور؟ إنها تلهث توقاً لتقوم به!.

ـ لقد سبق أن وقعت... مدير العلاقات العامة في مؤسسة هنتلي يريدك أن تمثليه أنت... أما أنتِ أو لا أحد. وهذا يعني أن العقد لن يكون لنا وبذلك يكون المسلسل الذي كنت أريد تنفيذه منذ سنتين قد أودع في سلة المهملات. من أين لي تمويل مسلسل كهذا؟.

ـ حسناً.. أنا آسفة دون.. لقد أنذرتكما أنني لن أقوم بغير هذه الحلقات التلفزيونية التي أمثلها نهائياً.. قلت لكما هذا منذ شهر... اصغيا إلي.. أنا في السابعة والعشرين، ولدي درجة جامعية في الإشراف والإدارة التربوية.، أريد مزاولتها ثم بعد سنوات قليلة، سيتغير حالي ولن أعود عندها بذات جمال فتي، فيطلب مني حينها تمثيل أدوار الأمومة وما شابه...

ردت ليونا بحرارة:

ـ هذا غير صحيح. أما قلت لك إنك إذا تركت المهنة فستدخلين

إلى ادارة المؤسسة لتعملي معي.

هبت نيكول عن كرسيها.

ـ لا.. ولا أريد هذا أيضاً. فأنا ما زلت غير مقتنعة.. ويجب أن أعرف بعض التفاصيل قبل أن أرد نهائياً.

فكر دون لحظات.. ثم قال:

ـ حسناً جداً.. ما رأيك بغداء عمل غداً سيكون فيه أنا وأنت ومدير العلاقات العامة نناقش خلاله كل التفاصيل الأخرى.. أترغبين في هذا؟.

قاومت نيكول رغبتها في الرفض.. يوم واحد من التأخير في خططها سيكلفها الكثير خاصة بعد تصميمها النهائي على اعتزال التمثيل. نظرت إلى ليونا التي كانت تكتم أنفاسها بشكل ظاهر ثم إلى دون الذي جلس على طرف كرسيه يكاد يقع من التوتر.. ثم قالت أخيراً:

ـ حسناً.. سأذهب للغداء معك ومع مدير العلاقات العامة غداً. لكن هذا كل ما أعدك به.. اتفقنا؟.

ونهضت عن كرسيها، سعيدة لأنها تشعر أن معدتها قد استقرت. فقفز دون إلى جانبها، كان أقصر منها بأربعة أو خمسة سنتمترات، ورفع بصره إليها والدموع في عينيه، ثم أمسك بيدها يهزها بحرارة.

ـ هذا كل ما أطلبه.. حبّ.. اوه نيكول.

استدار يعدو خارجاً من الغرفة، وكأنه يسعى للهروب قبل أن تغير رأيها.. سمعته المرأتان يسير في الممر الخارجي يدندن بصوت مرتفع. التفتت نيكول إلى ليونا التي كان فمها يلتوي لتكبح

الضحك.

ـ حسناً.. هيا.. قولي ما شئت. قولي إنني غبية تؤثر فيّ المواقف المحزنة.

تغيرت أسارير ليونا وأضحت رزينة:

ـ اوه لا يا نيكول.. أنا لم أفكر في هذا. لكنني كنت أضحك على دون. في الواقع أظنك قمت بمبادرة طيبة معه.. وستكون النتيجة وداعاً مناسباً لعالم التمثيل.

ـ وماذا تعنين؟.

ـ حسناً.. أسعدت دون وستربعين على عرش المجد إذا نجح المسلسل.

نظرت إليها نيكول بريبة:

ـ هل تخليت عن معارضتك لقراري بترك العمل؟.

ـ بل ما زلت أعترض وسأسعى جهدي لأغير رأيك فأنت ممثلة قديرة وهذا ما تعرفينه جيداً.

ـ ماذا اذن؟.

قطبت ليونا، ثم أطرقت مفكرة، ورفعت نظرها إلى نيكول مباشرة:

ـ أكره أن اعترف بهذا.. لا أؤمن من أعماق قلبي بأنك محقة بهذا، لكنني كذلك أعجبت بشجاعتك.

ـ كنت تجادلينني في الأمر خلال الأسابيع الأربعة الماضية.. فلماذا التغيير المفاجيء؟

ـ ليس من السهل انتزاع نفسك من قمة النجاح إن عدد كبيراً من

المغنيات أو الممثلات، يتعلقن يائسات بمجدهن حتى بعد مرور سنوات على ربيع شبابهن.

وتنحنحت بقوة:

ـ وأظن أن من قوة الشخصية أن تترك النجمة عملها حين تكون في الطريق إلى القمة.

صدمت نيكول، فقد بقيت لحظات عاجزة عن قول شيء ثم ابتسمت بوهن وقالت:

ـ حسناً.. شكراً على ثقتك وإيمانك بي.

ـ أخبريني.. هل وضعت خططاً نهائية محددة بشأن مستقبلك؟.

ـ في الواقع أجل. بل أطلقت بضع عجلات.. تحدثت مع مكتب القبول في جامعة اوكسفورد التي نلت فيها اجازتي لأقوم ببعض التدريب. ولن احتاج إلا إلى دورة واحدة.

ـ ستعودين طالبة جامعية من جديد إذن؟

ـ اوه فترة قليلة.. وسرعان ما سأمارس عملاً في الإشراف الاجتماعي أولاً.. ثمة مدرسة في ضاحية كنغستون هنا في لندن، تقوم بتعليم الأطفال الموهوبين والمحرومين. تحدثت كذلك معهم...

صمتت فجأة بعد أن لاحظت أن ليونا مشتغلة بتقليب ما أمامها من الأوراق... فعلمت أنها لا تهتم بما تقول، فشؤون الناس الاجتماعية لمن هم أقل حظاً في المدينة يبدو لها أمراً مملاً.. سألتها بعد أن شاهدت صورة في يدها:

ـ ما رأيك بها؟

ـ ربما.. إنها فتاة من ليدز لابأس بها. شاهدت مسلسلاً قامت فيه بدور ثانوي لكنها كانت ناجحة.

مدت نيكول يدها لتأخذ الصورة من ليونا وتتأملها، وتعود في الحال إلى خمس سنوات مضت، يوم دخولها في هذا العالم.. بكل الأحلام والآمال والمنافسة الضارية مع النساء الجميلات، الكفاح، العمل الشاق، التحول التدريجي من مجرد فتاة جميلة إلى تركيبة رائعة، يسعى إليها الجميع.

ـ صحيح..

أعادت الصورة إلى ليونا:

ـ حسناً.. سأذهب في طريقي.. وسأعلمك عن تطور الأوضاع مع مؤسسة هنتلي.

عند مدخل مبنى شقتها في شارع اوكسفورد. حياها حارس المبنى وأمسك لها الباب لتدخل.. صعدت بالمصعد إلى الطابق العاشر حيث وصلت إلى ردهة مغطاة بالسجاد. في الطابق أربع شقق كل منها تطل على ناحية من نواحي لندن.

أثناء ولوجها شقتها أحست بأنها محظوظة لأنها استطاعت شراء شقة كهذه وسط لندن فقد استطاعت خلال السنوات الخمس من شراء هذه الشقة وهذا الأثاث الفرنسي الذي تحبه.

توجهت عبر الردهة نحو غرفة نومها فاغتسلت وبعد أن بدلت ملابسها بأخرى سمعت جرس الهاتف، وكان المتصل دون الذي أخبرها أن كل شيء قد تم، وأنهما سيتغديان عند الواحدة ظهر الغد مع مدير العلاقات العامة في القاعة الرئيسية للطعام في فندق لانشستر. وأنهى كلامه:

ـ لا تتأخري نيكول، فالوقت بالنسبة لهؤلاء الناس يعني المال.

ـ أنا دائماً أصل في الوقت المحدد دون، فدعك عن القلق.. نم جيداً وسأراك في الغد.

مسكين دون إنه على وشك الانهيار.. وهذا كله بسبب هذا المسلسل التلفزيوني. أحست ثانية بأنها محظوظة لأنها ستتحرر أخيراً من هذه المهنة.. سوف تقوم بهذا الدور لأجل دون فقط.. وهذا كل شيء.

في اليوم التالي، عند الساعة الواحدة بالضبط، دخلت نيكول القاعة الرئيسية للطعام في فندق لانشستر.. فكان أول من شاهدته دون.. حين لمحها أطفأ سيجارته في المنفضة أمامه وأسرع نحوها مبتسماً، ماداً يده للتحية. ثم أمسك بيدها ليدخلها إلى القاعة المكتظة فقالت له:

ـ تتصرف وكأن مجيئي أدهشك. هدىء روعك لو سمحت، فنحن لن نقابل رئيس الوزراء.

ـ إن هذا القول سهل عليك.. فأنت ستتخلصين من هذا العالم القذر.. أما أنا فما زلت مضطر للسعي فيه إلى رزقي، وهذا يعني أن أعطي الانطباع الجيد لمن سيمولون عملي الجديد.. تبدين رائعة.

فضحكت:

ـ أحسبتني آتي بالجينز؟.

وصلا إلى طاولة مغطاة بقماش أبيض ناصع، فوقه طقم طعام فضي وكريستالي تقع في نقطة مختارة من القاعة الكبيرة. على الطاولة، كان يجلس رجل أشقر حسن الطلعة، أطول من دون، وأكبر سناً. عندما اقتربا.. وقف... وتحركت عيناه المدربتان بسرعة فوق جسدها صعوداً ونزولاً من رأسها حتى أخمص قدميها.

وقال دون:

ـ نيكول، هذا جون سوليڤان مدير العلاقات العامة في مؤسسة

هنتلي. جون.. هذه نيكول هانترز.

ارتسمت ابتسامة كسوله على شفتي الرجل:

ـ يسرني التعرف إليك آنسة هانترز. أنا معجب بك منذ مدة طويلة.

تنهدت نيكول.. ألن يتعلم أمثال هذا الرجل أبداً؟ لقد تلقت مثل هذه النظرات، وسمعت مثل هذه الكلمات، على الأقل، مئات المرات خلال السنوات الخمس المنصرمة. وتساءلت ما إذا كان أمثاله يظنون حقاً أنهم يتركون انطباعاً حسناً في نفس المرأة عندما يعاملونها وكأنها طبق طعام شهي يوشكون على التهامه.

ـ شكراً لك سيد سوليڤان.

ـ اوه.. أرجوك فلتترك الرسميات. ناديني جون.

كان دون يمسك لها كرسيها لتجلس حين لاحظت عيني جون سوليڤان قد تجاوزتاها فجأة. وإذا بفكه يترهل إلى الأسفل، وإذا بنظرته الحذقة تتلاشى عن وجهه، ثم ابتسم ابتسامة واهية ودار حول الطاولة.

تساءلت ماذا دهاه، وكادت تعتقد أن المكان يحترق. فالتفتت فإذا بها تحدق مباشرة إلى عينين من أشد العيون اسوداداً في حياتها.

إنه هو.. ذلك الرجل! يلاحقها دون كلل أو ملل؟ وكان كل ما استطاعت فعله، هو كبت شهقة الرعب التي تصاعدت فوراً إلى شفتيها.

* * *

٢ ـ أنتِ أو لا أحد

اعتقدت نيكول أن ما لا يقل عن ساعتين مضتا قبل أن تستعيد رشدها من الصدمة التي ولدتها مشاهدة ظلها الغامض الذي يقف الآن أمامها بشحمه ولحمه غير بعيد عنها. لكن حين شاهدت دون وجون يحييان الرجل وكأنه أحد أفراد الأسرة المالكة، أدركت أن المدة لم تتجاوز اللحظات.

سمعت دون يقول وهو يجذبها إلى الأمام:

ـ سيد هنتلي.. هل لي أن أقدم إليك نيكول هانترز.

الرجل إذن هو الرئيس الأكبر، وهذا ما يفسر تصرفات دون الرسمية.. قال الرجل بصوت عميق حاد:

ـ آنسة هانترز.. تشرفنا.

وتابع دون:

ـ نيكول هذا هو السيد إليوت هنتلي رئيس مجلس ادارة مؤسسة هنتلي وشركاه.

أيتوقع منها أن تنحني؟ حسناً.. سيصاب بخيبة أمل.. التفتت إلى الرجل وقد سيطرت على أعصابها مبتسمة ببرود:

ـ كيف حالك؟.

دون وجون كانا معاً يفتشان عن كرسي للرجل الكبير، الذي وقف بصمت يراقب جهودهما بابتسامة خفيفة لوت شفتيه، ثم دون

أن ينطق بكلمة جذب كرسي نيكول لتجلس عليها. وقال دون بصوت مرتفع متوتر:

ـ لم نتوقع وجودك هنا اليوم سيد هنتلي... لكنني مسرور لمجيئك لقد زدتني شرفاً. فأنا أعرف مدى انشغالك..

وتلاشى صوته بعد أن أدرك أن الرجل لم يكن مهتم به أقل اهتمام. عندها رفع يده يستدعي ساقياً. ثم جلس الثلاثة، هنتلي أولاً في مواجهة نيكول مباشرة، والآخران على جانبيه.

طلبت نيكول طبق السلطة المعتاد وكوباً من الشاي المثلج الخالي من السكر.. فقد علّمها غثيان الأمس أنه لا يجب الانتقال دفعة واحدة من الحمية المشددة.

تمكنت من تأمل الرجل الغامض حين كان الثلاثة يتفحصون لائحة الطعام وقررت أنه أجمل مظهراً عن قرب. بل هو حسب المقاييس المعروفة للجمال، ليس قبيحاً أبداً.

فجأة أدركت أمراً.. إن وجه هذا الرجل وجسده يذكرانها بصورة مقاتل شجاع من «الفايكنغ»، أو ربما بزعيم أو شيء من هذا القبيل. فاستطاعت عندها أن تتخيله جالساً مفتخراً، طويلاً، عاري الصدر على ظهر حصان أسود يحمل رمحاً في يده ويتدلى سيف من حزامه المطرز بالخرز. ملابسه الفائقة التحفظ وحدها هي التي أبعدت عنها صورته المتوحشة... صورة وجدتها أكثر من غامضة، أكثر من مزعجة.. شيء ما في هذا الرجل يرعبها في عمق كيانها.

ما كان يحيرّها وهي تراقب دون وجون يزحفان تقريباً عند قدميه، هو سبب ملاحقته لها.. ربما تكون مخطئة والمصادفة وحدها جعلته يتواجد في تلك البقعة المحددة أمام المبنى حين «يصدف» أن تكون خارجة لكن لماذا الاصرار على أن تقوم هي من

بين كل الممثلات هناك بدور البطولة؟ المسألة كلها غريبة. هنأت نفسها لأنها لم تعط وعداً قاطعاً لدون، بل وافقت على بحث الأمر فقط.

أخرج دون ملفاً من حقيبته، وانطلق يمارس مهارته المهنية على هنتلي في حين أن تعبيراً ما ارتسم على وجه جون الذي راح يراقب رئيسه عن كثب بحثاً عن دليل ما. تجاهل الثلاثة نيكول، وهذا ما أسرّها فجلست تصغي دون أن تهتم بما سيقررون، لأنها بدأت تقتنع بالرفض النهائي.

وسمعت دون يقول:

ـ وهكذا ترى أن أرباح المسلسل ستكون كبيرة. ونحن نتعهد لك أن نحافظ على مظاهر الحشمة فيه، فلن يكون فيه فتيات بالبيكني أو أي شيء من هذا القبيل.

ضحك جون سوليڤان لهذا وقال:

ـ دعنا لا نبالغ كثيراً. فأنا سأسر برؤية نيكول وهي تظهر في ثوب سباحة.

كانت معتادة على تعليقات المخرجين والمصورين لذا لم تجد هذه الملاحظة مهينة. لكنها فوجئت بتلك النظرة الحادّة التي صوبها هنتلي إلى جون.

ـ كفى عبثاً! دعك من هذا الكلام سوليڤان... أعتذر لك يا آنسة عن السيد سوليڤان... فمزاحه لا يروقني دائماً.

فقال سوليڤان بوجه مضرج بالاحمرار وبصوت مختنق:

ـ لم أقصد الاهانة بالطبع.

فتمتمت نيكول:

ـ ولم أعتبرها اهانة.

تدخل دون:

ـ آه.. كنت أقول إننا خططنا للتصوير في بعض الأماكن التاريخية، وحصلنا على الترخيص.. أمام قصر «وستمنستر» وساعة بيغ بن في الخلف... في مسرح ريجنت بارك المكشوف... أمام برج مكتب البريد، برج لندن الشهير، من الداخل والخارج. أمام كاتدرائية سانت بول، جسر لندن فوق التايمز... تلك الرموز الوطنية المعروفة. وسيكون كل التصوير جدي، لا شيء عابث تافه.

هز هنتلي رأسه بوقار، فتابع دون حديثه:

ـ فكرنا أن نلبس نيكول بذلة رسمية رجالية لتبدو امرأة أعمال. سيدة نافذة، وهذا من أجل غرور المشاهدات من النساء... فلا ضير من اجتذاب النساء.. ثم...

لكن بدا واضحاً أن هنتلي قد توقف عن الاصغاء إليه.. كان يضع يديه على القماش الأبيض أمامه، يسند ظهره إلى ظهر كرسيه، ويحدق عبر الطاولة إلى نيكول.. ثم سأل بأدب:

ـ ما رأيك بكل هذا.. آنسة هانترز؟.

فوجئت نيكول بالسؤال:

ـ أنا؟ أنا لا رأي لي.. فأنا أتبع الأوامر فقط.

وضحكت.. للحظات قصيرة توهجت عيناه السوداوان وارتسم شبح ابتسامة على فمه.

ـ هكذا اذن!

هذا كل ما قاله، لكن الكلمة الساخرة أخبرت نيكول كلاماً

كثيراً، فأحست وكأن لجاماً خفياً شد وثاقه إلى عنقها.

بقيت صامتة ما تبقى من الوقت، بل أنها لم تعد تصغي للكلام الدائر حولها، وهم يبحثون بعض التفاصيل.. فقد صممت رأيها بثبات.. لن تقوم بالعمل خاصة ولهذا الرجل المزعج يداً فيه.

في منتصف الوجبة، أخرج هنتلي ساعة ذهبية من جيب سترته، نظر إليها قليلاً، ثم هبَّ واقفاً فجأة واضعاً منديل المائدة قرب صحنه الفارغ، ثم نظر إلى دون الحائر المرتبك، الذي بقي فاغر الفم.

- لا حاجة لمشاركتما الحديث سيد اندرسون.. فالسيد سوليڤان يعرف ما أريد.

نظر إلى نيكول وأحنى رأسه قليلاً:

- لقد أسعدني لقائي بك آنسة. حظاً سعيداً في دورك الجديد.

ثم ارتدَّ حالاً على عقبيه مبتعداً، يناور بين الطاولات بسهولة وبراعة الرياضي رغم مظهره الضخم... وقال سوليڤان أخيراً:

- حسناً.. هذا كل شيء إذن؟

فابتسم دون:

- أجل.. لكن ماذا يعني؟

- يعني أنه موافق. وكل المفاوضات القادمة ستكون معي.

- لقد خدعني.. ظننته لم يسمع كلمة مما قلت.

- صدقني! إليوت هنتلي لا يفوته شيء أبداً. إنه يمتص المعلومات عبر مسامه.

وقف جون سوليڤان بدوره:

- حسناً.. حانت ساعة عودتي إلى العمل. سأترككما الآن..

مرّ إلى مكتبي فيما بعد دون لنراجع التفاصيل مرة أخرى ونوقع العقد.

نظر إلى نيكول ثم أردف:

- سرتني مقابلتك نيكول. أنا واثق بأننا سنرى بعضنا كثيراً.

بعد ذهابه بقي دون ونيكول يتبادلان التحديق. ثم ضحك دون:

- لقد كانت تجربة هائلة... أحس وكأنني ركضت في سباق ماراتوني. ما رأيك؟.

- لست أدري.. لم يعجبني الأمر. شيء بشأن التركيبة يزعجني.

- وهل يزعجك أجرك؟.

لفظ أمامها مبلغاً خيالياً، فسألته بصوت أجش:

- وافقوا على دفع هذا المبلغ؟ كيف تمكنت من اقناعهم؟

- اسمعي حبيبتي... نيكول.. حين يصر رجل كأليوت هنتلي على شيء كإصراره على أن تقومي أنت بدور البطولة فعليه أن يعرف جيداً أنه سيدفع الكثير ليحقق ما يريد.

- لكن أبهذا القدر؟.

- مهما كان المبلغ!

- لست أدري دون. ما زال الأمر لا يعجبني.

- لا تخذليني الآن نيكول.. قولي لي ما يزعجك فقط، وسأرى إذا كان باستطاعتي تسويته. أهو سوليڤان؟ أعرف أن الرجل قوي.. ولكن....

- لا.. ليس جون سوليڤان السبب، فهذا نوع ألفته حتى بات يثير اشفاقي. بل هو هنتلي بالذات.. شيء ما حوله.. لست أدري.

ـ حسناً.. هذا هو تأثيره على الجميع. تقال شائعات إنه ليس من البشر وأنت سمعته، وهو يوكل الأمر إلى سوليڤان.. أعتقد أننا لن نراه ثانية. سمعت أنه منعزل عن الناس.. لذا صعقت حين شاهدته هذا اليوم.

كادت الكلمات تخرج منها، معلنة أنها تشك في أن هنتلي يلاحقها ويراقبها منذ سنة، لكن الأمر بدا لها سخيفاً. إنها دون شك مخطئة، فما الأمر إلا صدفة غريبة.

ـ حسناً.. هذا إذا كنت واثقاً بأننا سنتعامل فقط مع جون سوليڤان...

ـ فتاة طيبة، لن تندمي. فكري في المبلغ الضخم الذي ستكسبينه. وهذا سيعطيك دفعاً في عملك الجديد.

لم يكن مكتب المؤسسة يبعد كثيراً.. فتوقفت نيكول قبل أن تذهب إلى المنزل لالتقاط بعض حاجياتها. لكن حين فتحت باب مكتب ليونا، علمت أنها ما تزال حائرة في أمر أليوت هنتلي.. وقالت لها ليونا:

ـ حسناً.. كيف جرى الأمر؟.

ردت نيكول ببطء:

ـ لست واثقة.

ـ هل فشلتما؟

ـ لا.. لا أظن هذا. بل أنا لا أعرف ما أقول.

ـ وما الخطب؟

ـ ليونا.. أنت تعرفين الجميع في هذه المدينة.. فماذا تعرفين عن أليوت هنتلي؟.

مالت ليونا في كرسيها إلى الخلف وضحكت.

ـ لا شيء بالضبط. فالرجل أحجية غامضة. إنه أحد العباقرة الذين يعيشون لعملهم فقط. لا أعرف له حياة اجتماعية، على الأقل ليس في الدائرة التي أتوقع أن أجده فيها.. مع أن هناك شائعات.

ـ أي نوع من الشائعات؟

ـ لا شيء محدد... إنها ثرثرات فقد شوهد عدة مرات في أماكن معروفة، مع نساء متعددات، وتقول القصة إن أياً منهن لم تستطع الاقتراب كثيراً منه وهو غير متزوج ولم يتزوج قط أو خطب قط ولم يحدث أن تورط في علاقة حميمة مدة طويلة.

ـ إنه رجل غريب المظهر بكل تأكيد، إنه قبيح تقريباً.

ـ قبيح؟ حسناً.. أنا لم أشاهده عن قرب قط. لكنه ليس بقبيح أبداً بل له مظهر مهيب فقط.

دق الباب وأطلت شقراء طويلة جميلة.

ـ ليونا؟ هل لي أن أحدثك دقيقة.. أوه.. مرحبا نيكول، سآتي لاحقاً.

وقفت نيكول:

ـ لا تذهبي بيتي.. فأنا عائدة إلى المنزل على أية حال.

ـ انتظري لحظة.. بيتي.. ألم يكن لديك ابنة عم أو ما شابه على علاقة مع اليوت هنتلي؟

فكرت بيتي لحظات، ثم قالت:

ـ اوه تقصدين شيرلي كروسمان. إنها ليست قريبتي.. بل صديقة.. كانت تقابله مدة طويلة.. لكن منذ زمن بعيد.

ـ حسناً.. وماذا قالت عنه؟

ـ هذا هو الجزء الغريب بالأمر.. فهي لم تتكلم عنه قط.

اكتشفت العلاقة صدفة بعد أن كان كل شيء قد انتهى.

تقدمت نيكول نحول بيتي:

ـ ألا تعرفين إذا كان بينهما علاقة؟

ـ لا أعرف شيئاً، فقد تزوجت بعد فترة قصيرة، وسافرت إلى الخارج..

فعلقت ليونا بطريقة جافة:

ـ ربما يكون شاذاً.

فضحكت بيتي:

ـ اوه لا.. لو كان شاذاً لأخبرتني شيرلي دون شك، فقد كان لها تجربة سيئة مماثلة من قبل... هي لم تتحدث عن الأمر يوماً لكنني كلما كنت أسألها أو أذكر اسمه كانت ترتسم ابتسامة على شفتيها.. وكأن ما عرفته منه رائع! يبدو وكأن الأمر لها لم يكون مخيباً لآمالها.

ـ حسناً... لا أهمية لهذا فقد أوكل الأمر كله إلى جون سوليڤان، أظنه يعتبر نفسه أرقى من أن يزعج نفسه بمثل هذه الأمور التافهة.

كان سيستغرق تمثيل المسلسل شهرين تقريباً خلاله يقومون بلقطات خارجية عديدة ومشاهد فيها الكثير من المخاطرة وقصة المسلسل تاريخية يشاركها البطولة فيه هانت فيرلي. بعد الانتهاء منه لن يعود هناك أنوار ساطعة، ولا حمية عن الطعام وعندها ستصبح حرّة في بدء آخر تدريب لها قبل أن تقوم بمهنة جديدة.

بعد ظهر الجمعة اتصل بها دون ليسألها ما إذا كانت جاهزة للسفر في الصباح التالي.. حين أجابته بالايجاب صمت قليلاً ثم

قال والتردد واضح في صوته:

ـ جيد.. آه.. ثمة شيء واحد نيكول.. لعلك تأتين الليلة إلى اجتماع آخر.. أعدك أنه الاجتماع الأخير.

ـ اوه.. أريد النوم باكراً الليلة. ثم لماذا تحتاجني؟ ألم تتفاهم على كل شيء مع جون سوليڤان؟.

ـ إنه هنتلي.. المصرّ على الاجتماع لكنه سيكون اجتماعاً قصيراً، يتخلله عشاء خفيف في منزله.

تقلبت نيكول ما بين الفضول والانزعاج.. فهي من جهة لا تريد أن يكون لها علاقة بهنتلي الغامض، ومن ناحية أخرى صعب عليها مقاومة هذا الغموض... فسيكون مثيراً للاهتمام رؤية منزله لمعرفة الطريقة التي يعيش فيها.

حين أطالت الصمت دون رد سارع دون يقول:

ـ سأحضر لأصطحبك في السابعة.. إلى اللقاء.

وأقفل الخط، فوقفت تتأمل السماعة الصامتة في يدها... دون الذكي، لقد ناورها ثانية لتقوم بما يريده والحمد لله أن الأمر سرعان ما سينتهي.

سألت نيكول وهما داخل المصعد في أفخم فندق في لندن.

ـ أتعني حقاً أنه يعيش في فندق؟.

خرجا من المصعد وهو يهز رأسه مبتسماً فسارا فوق السجاد السميك قاصدين الباب الوحيد في ذلك الطابق. حين حرك دون اليد النحاسية فوق الباب، نظرت نيكول نظرة أخيرة إلى صورتها في المرآة المعلقة عند آخر الممر.. إنها كالعادة، اعتنت بكل دقة لتبدو رائعة في أفضل حال.

أصيبت بالدهشة عندما رأت هنتلي يفتح الباب بنفسه.. كانت تتوقع خادماً، أو خادمة على الأقل.. رغم طولها، الذي ازداد بانتعالها حذاء عالي الكعبين، اضطرت إلى رفع رأسها نحوه لتنظر إليه.. مرت قشعريرة باردة في جسدها حين لاحظت أن عينيه السوداوين مسمرتان عليها. كان وجهه المتجهم خالياً من أي تعبير... أحنى رأسه قليلاً قائلاً:

ـ مساء الخير آنسة هانترز...

والتفت دون اكتراث إلى دون فحياه بكلمة واحدة.

ـ أندرسون... تفضلا.. أرجوكما.

استدار ليقودهما من الردهة العريضة المفروشة بالسجاد إلى درج عريض أودى بهم إلى غرفة جلوس كبيرة، في زاويتها الضيقة مدفأة قديمة الطراز، وصف من النوافذ الواسعة المطلة على نهر التايمز والهايد بارك، حيث بدا من بعيد منظر السماء التي تحد المدينة الكبيرة...

كانت الغرفة مؤثرة بطريقة مذهلة لكنها باردة وكئيبة، مثل ساكنها... تعطي انطباعاً بقوة وسلطة وقساوة لا تلين.. دون أن يكون في هذه الشقة الموحشة لمسة ناعمة تجعل منها مكاناً أنسياً.

تقدمت إلى جدار لتتأمل لوحة مرسومة بالأبيض والأسود.. كانت لوحة المرأة تجلس على مقعد في حديقة تتدلى فوقها أغصان شجرة لا أوراق لها. في الأسفل لاحظت توقيع فنان معروف من القرن السابع عشر.. فتأثرت.. والتفتت إلى مضيفها لتسأله.. لكنه كان قد اختفى ودون. ثم سمعت أصواتاً في الردهة الخارجية، فتوجهت إلى حيث الصوت، فإذا بها تجد هنتلي يفتح الباب، ودون على وشك الخروج.. حين شاهدها دون ابتسم

ابتسامة واهية، وتنحنح رافعاً يده:

ـ حسناً.. وداعاً نيكول.

وقبل أن تتمكن من جمع شتات أفكارها، خرج من الباب الذي أوصده هنتلي بحزم وراءه وعاد يسير باتجاهها.

أحست نيكول بأنها حيوان صغير يقترب منها فهد مفترس... فقاومت موجة ذعر اجتاحتها. حين توقف على بعد قدمين منها منفرج الساقين، يداه في جيبي سرواله رفعت نظرها إليه، واضعة يدها على عنقها، متسعة العينين.

ـ أين ذهب دون؟

ـ لديه أعمال أخرى.

هزت رأسها حائرة.

ـ لا أفهم ظنتك تود الاجتماع بنا.

ـ بل أردت الاجتماع بك.

تراجعت عنه خطوة.

ـ ولماذا أنا؟.

فقال بابتسامة رقيقة:

ـ لا تخافي... أنت آمنة معي.

تركها ثم تقدم نحو طاولة عليها أنواع من زجاجات الشراب.

ـ أترغبين في شراب؟.

أخذ خوفها يتقلص تدريجياً، وقد تصاعد الغضب مكانه ببطء، كان الجزء الكبير منه، موجهاً إلى الرجل الطويل أمامها... لكن الجزء الأساسي منه موجهاً إلى ذلك الجرذ القذر.. دون... ستقتله حين تراه ثانية!.

التفت هنتلي إليها يسأل:

- مرطبات! عصير؟ ماذا تريدين؟.

ردت بصوت صارم.

- ما أريده هو أن أعرف ماذا يجري.

- صحيح.. سأشرح لك.. لكن أولاً، ألن تشربي شيئاً، أرجوك؟.

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب، ودون أن يتحرك له جفن أجاب:

- تفضل.

ودخل رجلان يرتديان بزتين بيضاوين، يدفعان أمامهما عربتين مليئتين بأطباق فضية وبمناديل وكؤوس كريستالية، وبمزهرية طويلة فيها وردة صفراء واحدة. دون أن يتكلم، أشار هنتلي إلى زاوية في نهاية الغرفة الطويلة، فانشغل الرجلان بحمل الصواني إلى الطاولة الخشبية الفاخرة الموجودة في تلك الزاوية.

- هذا عشاؤنا. تفضلي.. اجلسي واشربي هذا الكأس المهضم. إلا إذا رغبت في الطعام أولاً.

في تلك اللحظات، لم تكن نيكول تدري ما تريد؟ لكن الشراب بدا لها فكرة جيدة، فقد كان حلقها جافاً تماماً. إنه وضع غير مريح.. لكن إذا غدا لا يطاق، فستغادر المكان. تناولت الكأس من يده، وبدأت تحتسيه. انزلق الشراب، فلسعها قليلاً. لكن دفئه ساعد أعصابها المشدودة على الاسترخاء. فنظرت فيما حولها باهتمام.

تقدمت نيكول إلى النافذة وجلست، تكمل احتساء شرابها ولحق

بها هنتلي، ووقف يحدق إلى الخارج. راقبته وهو يقف وكأنه نسي وجودها.. مخاوفها تلاشت تماماً الآن، وبدأت نفسها تمتلىء بالفضول ليس لمعرفة سبب اجتماعه بها بل لمعرفة أسباب ملاحقته لها من مسافة بعيدة طوال الأشهر الماضية، كذلك.

أخيراً التفت إليها يسأل:

- هل لي أن أناديك نيكول؟.

انتفضت قليلاً، ثم قالت:

- طبعاً.. أنت رب عملي، بطريقة ما، فنادني بما تشاء إلا بلفظة «حبيبتي» لأنني لا أطيق سماعها.

وابتسمت، فرد الابتسامة كاشفاً بها عن أسنان بيضاء متناسقة لمعت في وجهه الأسمر، مد يده إلى خلفه ليجذب كرسياً ويجلس بقربها.

- حسناً نيكول.. لقد أقنعت أندرسون باحضارك الليلة إلى هنا بطريقة مخادعة، لأن هناك أمراً أود التباحث معك فيه.. وكانت هذه هي الطريقة الوحيدة للاختلاء بك.. هل أنا على صواب؟.

- أجل.. أنت على صواب.

- أنت خائفة مني؟

فابتسمت:

- قليلاً.

- لا تخافي، فنواياي شريفة. أريد أن أعرض عليك اقتراحاً.. اقتراح عمل.

وضعت نيكول كأسها على الطاولة الصغيرة إلى جانبها وعقدت يديها على ركبتيها وهي تشعر بأن عضلات جسدها متوترة:

ـ اقتراح عمل؟

ـ أجل أعتقد أنك شعرت بي وأنا أراقبك منذ عدة أشهر ولعلي لم ألقِ الخوف في قلبك، أترين هذه طريقتي في العمل: أحدد الأملاكَ والأسهم والشركة التي تثير اهتمامي حتى أقتنع أنها بالضبط ما أريد.

ـ اسمع.. لقد وافقت على تمثيل المسلسل، فلماذا التذرع والتآمر؟ الأمر حقاً...

رفع يده مقاطعاً:

ـ رويدك.. لم أنته بعد، فلا آبه البتة بالمسلسل. قلت أريدك أنت أنت، لا تمثيلك وما يدر عليّ من أرباح.

وقفت نيكول ببطء، تنظر إليه.. هكذا هي المسألة إذن! أحست بهدوء غريب يسيطر عليها. ورفعت قامتها مستقيمة، تريد أن تقول له ماذا عليه أن يفعل بشأن اقتراحه المهين، ثم تخرج بغطرسة. لكن قبل أن تتفوه بكلمة، وقف إلى جانبها، يشرف عليها من علو:

ـ ألن تسمعي ما لديّ على الأقل؟ لقد تكبدت مشاكل وتكاليف لتحقيق اللقاء.

ـ هذه هي مشكلتك، لا مشكلتي، لكن علي أن أعترف لك بأنني فضولية، وأنت وقح.. لذا أكمل كلامك.

ـ أعجبت بك منذ زمن طويل.. اعتقد أنك أكثر امرأة مرغوبة بل أجمل امرأة رأيتها في حياتي. وكما قلت، أريدك إلى درجة تخولك وضع الشروط التي تريدينها.

ـ انتظر للحظة.. دعني أفهم جيداً ما سمعت.. أنت تريد شرائي! تريد أن أصبح عشيقتك، تاركاً لي حرية تحديد الثمن الذي أريد؟.

ـ قولك هذا فظ في وصف الأمر.. لكن أجل.. أعتقد أنه تفسير.

ـ ولماذا؟

ـ قلت لك. لقد جذبتني إليك! وأنا معجب بك!.

ـ ولكنك لا تعرفني.

ـ بل أعرف أنني أريدك.

ضاقت عيناها وهي تنظر إليه.

ـ ألم يخطر ببالك قط أن هناك طرق أخرى للفوز بامرأة؟.

مدت ذراعيها على وسعيهما.

ـ حسناً.. ثمة طرق متعددة، مثلاً أن تطلب منها تناول العشاء بصحبتك، أن ترسل لها الزهور، أن تقول لها كلمات جميلة، وأشياء لطيفة عن نفسك. أو على الأقل.. أطلب منها الزواج!.

ـ حسناً.. سأتزوجك، إذا كان هذا ما تريدين.

فصاحت:

ـ لا.. ليس هذا ما أريده.

هزكتفيه الثقيلتين.

ـ حسناً.. ماذا تريدين اذن؟ قولي ما تريدين وسيكون بين يديك.

ارتبكت كل الارتباك الآن فهزت رأسها!.

ـ لا شك في أن هذا أكثر حوار «سوقي» أجريته في حياتي. أنا لا أعرفك حتى سيد هنتلي، وما أعرفه لا يعجبني!

ـ أعرف هذا، فأنا لم أتوقع منك الاعجاب بي. ولهذا أقدم لك العرض على أساس تجاري.

التقطت نيكول حقيبتها عن الأرض، وقالت بصرامة:

ـ حسناً.. أنا آسفة سيد هنتلي.. فأنا لست معروضة للبيع لا كعشيقة مدفوعة الأجر ولا كممثلة.

ثم قصدت الباب رافعة الرأس مضرّجة الوجنتين، فمهلاً مهلاً حتى تضع يدها على دون! من بين كل العروض السخيفة المجنونة! لا بد أن الرجل مجنون! حين وصلت الباب أحست به خلفها يقول لها بصوت رزين:

ـ لا تلومي أندرسون على هذا. ولا سبب يمنعك من تمثيل المسلسل خاصة بعد أن أصبح كل شيء جاهزاً. لن تؤذيني بشيء لو انسحبت، لكن الآخرين سيتألمون.

التفتت إليه كالدوامة لتواجهه، لكن، قبل أن تستطيع أردف قائلاً باللهجة نفسها:

ـ لا تقلقي لن أزعجك ثانية.. لقد قامرت وخسرت، وهذه نهاية المطاف.. فلن تريني مجدداً.

فتح لها الباب، فمرت به إلى الممر. حين وصلت إلى المصعد، سمعت الباب يقفل وراءها بهدوء.

* * *

٣ ـ ستكونين لي

خلال الساعات التالية، كانت مترددة كثيراً بشأن المسلسل الذي فكرت في رفضه. فبعد خروجها العاصف من شقته، اتصلت لحظة وصولها إلى منزلها بدون، وهي ترتجف غضباً، حتى كادت خطوط الهاتف تتمزق من عنف هجومها واتهاماتها.

ـ لقد تآمرت علي أيها الجرذ. لقد بعتني.. أوصلتني بيدك إلى هناك وتركتني... أنت لست أفضل من ... قوّاد!.

واستمرت بالشتم إلى أن نفد قاموس الشتائم والاتهامات، فأنهت كلامها قائلة:

ـ وفوق كل هذا وافقت على القيام بهذا العمل لأجلك!.

ـ نيكول.. أقسم لك أنني ما كنت أعلم أنه سيعرض عليك هذا صدقاً.. أقسم لك.. ولو عرفت ما ينوي لما تركتك هناك معه وحدك.

ـ اوه.. دعك من هذا دون! لا تتذرع بهذه الذرائع الواهية، فأنت لست ذلك الساذج.. ماذا كنت تظنه يريد حين طلب منك تركي وحدي؟.

ـ ظننته سيناقشك بشأن العمل.

ـ حسناً.. لن أقوم بالدور.. جد ممثلة أخرى.

ـ دعك من هذا نيكول.. هدئي روعك.. ماذا حدث بالضبط؟

هل حاول.. حسناً.. تعرفين ماذا؟ أعني هل...

ـ غازلني؟ هاجمني؟ شد وثاقي؟ قيدني بسلاسل؟ ولماذا تهتم لو أنه خطفني وباعني في سوق النخاسة؟.

ـ لكن هل هاجمك حقاً؟ أعني.. هل حاول شيئاً جاداً؟.

ـ لا.. بالطبع لا.. إنه أكثر تمدناً من أن يقوم بمثل هذا.

ـ اذن لماذا هذا الغضب كله؟ ألم تفكري قط في أن الرجل قد يكون جاداً في اهتمامه بك، أنت تعجبينه، تجذبينه! وما الخطأ في هذا؟ ربما يجب أن تشعري بالاطراء.

ـ إذا كانت نواياه سليمة، فلماذا لم يتصل بي مثلاً، ويدعوني إلى العشاء؟ لماذا كل هذا الاختباء وراء المسلسل؟.

ـ حسناً، لست أدري. ربما هذه هي طريقته.. لكنك تبالغين في ردة الفعل... لم يحدث أي ضرر.. وأعرف أنه لن يلاحقك بعد الآن.. فهو يعرف متى ينسحب ومتى يعتبر نفسه خاسراً، لا تنسي المبلغ الضخم الذي سيدفعه لك.

غرقت نيكول في كرسي قريب، وقد غدت لا تثق بدون البتة. لكن في هذا، الحق معه، ربما يجب أن تعض على جرحها وتقوم بتمثيل اخر عمل لها، وتقبض أجرها الرائع وترمي بهنتلي واقتراحه المهين وراء ظهرها.. عندما تلاشى غضبها، قالت:

ـ صحيح! هذا ما يجب أن أفكر فيه.

ـ أتعلمين نيكول.. إني لا أصدق أن رجلاً مثل هنتلي، له مركزه ومكانته الاجتماعية الرفيعة وترفه وغناه، يضطر إلى شراء امرأة.. آه.. تعرفين ما أقصد.. كيف يضع الحب على قدم المساواة مع العمل هكذا؟ فباعتقادي أنه قادر على الحصول على أية امرأة يريد.

ردت نيكول ببطء.

ـ لكنني أعتقد، أن أليوت هنتلي هذا، رجل يريد فقط ما لا يستطيع الحصول عليه... ومن المحتمل أن بعض النساء هربن منه لمظهره.. فهو ليس وسيماً بالضبط، بل لقد أخافني.

فضحك دون:

ـ حسناً.. عليك الاعتراف بأن ما من ضرر في ما حدث. وأظن أن الرجل كان يطريك.

ربما دون محق... ربما يجب أن تشعر بالزهو لأن هنتلي يلاحقها بشكل دؤوب.. لكنها، لم تمزح حين قالت إنها خافت منه.

في النهاية، طبعاً، واقفت على القيام بالتمثيل.. وانطلق الفريق إلى مكان التصوير بعد أيام قليلة.

يوم الخميس التالي، أي بعد أقل من أسبوع على بدء العمل، وقفت نيكول وسط جسر لندن الشهير فوق نهر التايمز، تصغي إلى الجدل الدائر بين المخرج ومدير الاضاءة حول الاضاءة.

مع أن الساعة لم تتجاوز بعد السادسة صباحاً، إلا أنهم هناك منذ ساعتين، أو أكثر، فقد تعمدوا البدء باكراً لانهاء التصوير قبل ازدحام المكان بالسواح وكانت المنطقة خاوية تقريباً في هذا اليوم الربيعي الدافىء، والمكان هادئاً، والعصافير تزقزق فوق الأشجار على ضفتي التايمز الذي كانت الحشرات تتطاير بين أعشابه.

صاحت ضجرة من الرجلين اللذين يتجادلان:

ـ هاي... أكاد أذوب من الحرارة هنا... سأفتش عن مكان ظليل. ناديني حين تستقران على رأي.

دون الالتفات أو التوقف عن الحديث، أشار دون بيده موافقاً، فتحركت إلى شجرة سنديان وارفة الظلال قريبة... ولم يلبث أن انضم إليها بعض زملائها من الممثلين الذين شرعوا بتبادل النكات والقاء بعض الملاحظات.

أما هي فلم تشأ مشاركتهم الحديث بل جلست فوق كرسي وضع عليه وسادة، وأسندت رأسها إليها، وأغمضت عينيها. تفكر في الزهور التي تلقتها في غرفتها في مؤسسة الإرسال... ها هي خمسة أيام قد مرت، وفي كل يوم منها تتلقى باقة مختلفة. يوم السبت، يوم البداية، كانت زنابق بيضاء، رائحتها كادت تخنقها، تبعها في الأيام التالية سلال من الزنبق الزهري، وعشرات من الورود الصغيرة الصفراء، زهر الخباز، وبالأمس باقات متعددة من الأوركاديا الاستوائية.

في اليوم الأول كادت أن تستدعي العاملين لاخراج الزهور، لكن حبها للزهور منعها من ذلك. فقررت أن ذلك «الرجل» لن يفسد عليها لذتها بها، ولن يحدث شيء إن أبقتها. وبما أنه لم يظهر مرة خلال التصوير.. فقد اعتقدت أن هذه دون شك طريقته في الاعتذار.

في هذه اللحظة من التفكير ناداها دون:

- حسناً نيكول، نحن مستعدون للتصوير الآن.

بعد انتهاء التصوير، الذي لم يدم أكثر من ساعة، أوصلتها سيارة المؤسسة الكبيرة إلى المكتب. حين فتحت باب غرفتها راحت تتساءل عن نوع الأزهار اليوم.. لكنها عندما شاهدت الغرفة فارغة أحست بخيبة أمل حقيقية.

أغلقت الباب خلفها، تكاد لا تصدق أنها تفتقد الأزهار الملونة التي كانت تستقبلها عادة. لقد بدأت تعتاد عليها. خلعت ملابسها ببطء ثم علقتها بعناية واتجهت إلى الحمام لتستحم.. وهي تتساءل لماذا توقف عن ارسال الزهور فجأة.

بعد تجفيف نفسها، ارتدت سروالاً قديماً وقميصاً قطنياً، وربطت شعرها إلى الوراء برباط أحمر.. فليس لديها عمل الآن وهي لا تريد العودة إلى شقتها الآن، بل تريد أن تمضي بعض الوقت في التجول.

ركبت سيارتها.. ستذهب اليوم خارج المدينة متخذة الطريق المحاذي لضفاف النهر باتجاه اوكسفورد حيث يلتقي هذا النهر بنهر «شيرول» ليشكلا بحيرة كبيرة، على ضفافها أماكن سياحية. إنّ المكان لا يبعد أكثر من عشرة أميال هوائية، لكن الطريق إلى هناك أطول بكثير، فكان أن استغرقت رحلتها ما يقرب من الساعة لكنها ما أن وصلت حتى لاحظت أن موقف السيارات مزدحم، فاضطرت إلى التقدم إلى الأمام قليلاً لتوقف سيارتها. لقد كانت تريد بعض الوحدة والسكينة، لكن هذا على ما يبدو بعيد جداً.

خرجت من السيارة، تخترق الطريق الضيقة عبر الأشجار. فوصلت بعد لحظات إلى البحيرة التي وجدتها أكبر مما كانت تظن. واسعة، ذات مياه هادئة... كانت المنطقة واسعة بحيث تتسع لعدد كبير من المتنزهين.

تقدمت نحو حافة المياه، وأكملت المسير. كانت كلما قطعت مسافة تحس بالهدوء والسكون والعزلة. لكنها لم تبتعد أكثر من عشرين متراً، حتى واجهت متطفلاً على عزلتها، رجل وحيد، يقف على ضفة البحيرة، وجهه إلى الناحية الأخرى منها، يداه على

صدره، ينظر إلى المياه المنسابة بهدوء.

توقفت قليلاً واستدارت لتعود من حيث أتت.. لكن شيئاً ما في وقفته، وسكونه، وتركيزه، هدهد وتراً مألوفاً لديها. ترددت وقتاً كان كافياً ليستدير ناظراً إليها.

إنه هو! أليوت هنتلي! تسمرت نيكول في مكانها... لقد تأخرت على الهروب. حينما كانت تحدق إليه لم تشاهد أثراً على وجهه الصارم القاسي يدل على أنه تعرف إليها.

ربما خلو وجهها من المساحيق جعله لا يعرفها. حاولت أن تستغل الأمر لتسرع في تجاوزه.

لكن ما أن ابتعدت عنه خطوة أو يزيد حتى قال لها بصوته العميق الذي ألفته:

ـ صباح الخير.

كان كل ما فيها من غرائز يقول لها أن تابعي المسير وتجاهلي تحيته، لكن سرعان ما تغلبت عليها غريزة الفضول. ماذا يفعل هنا؟ لقد قال إنه لن يزعجها ثانية، وصدقته، فماذا يفعل اذن؟ هل دبر هذا اللقاء أيضاً؟.

لكن كيف له أن يعرف أنها ستجيء إلى هنا؟ لم تذكر نزهتها هذه أمام أحد... هل كلف أحد أتباعه بالتجسس عليها؟ لكن ألن يستطيع اللحاق بها هذه المرة بعد أن أمضى سنة كاملة في اتباع خطواتها؟

رفعت رأسها إليه فإذا بها لا تجد في مظهره ما يخيف فرغم كل ضخامته وهيبته، وتقاسيمه الصخرية، وطول قامته التي تعلوها، لا يبدو لها مخيفاً هذا عدا عن أن له ملء الحق في أن يكون في هذا

المكان وردت عليه متوترة:

ـ صباح الخير.. أتلاحقني ثانية؟.

ضاقت عيناه، وتلاعب شبح ابتسامة على فمه:

ـ أتظنين هذا؟

تقدم خطوة نحوها فرفعت يدها إلى عنقها لا إرادياً وارتدّت إلى الخلف، متسعة العينين:

ـ لا تقترب مني (صاحت تحذره).

فتوقف:

ـ لا تخافي. لن أؤذيك. فهذا أبعد ما أفكر فيه

ـ أجل... أعرف هذا، وأنا آسفة.

ـ حسناً إذاً.. أترغبين في السير معي؟

ـ لو سمحت.. أفضل أن أكون وحدي... لقد قمت بعمل شاق هذا الصباح.. وأحتاج إلى الراحة.

لوى رأسه ثم سألها:

ـ أتجدين صعوبة في عملك؟ يبدو لي عملاً لا مشقة فيه.

ضحكت:

ـ هذا ما يبدو للناس لكن صدقني، نحتاج إلى طاقة عصبية وتركيز ذهني وسرعة بديهة لنقوم بتمثيل ناجح.

هز رأسه:

ـ فهمت... حسناً إذاً.. لن أزعجك.

أحنى رأسه محيياً ثم تنحى جانباً ليفسح لها مجالاً للمرور. تحركت ببطء، فمرت في الممر الضيق قربه، حتى أنها أحست بجاذب مغناطيسي ينبعث من جسده الجامد لكنه اعترضها بقوله مرة أخرى.

ـ أرجوك (همس).. كلمة واحدة فقط قبل أن تذهبي.

ـ نعم.. ماذا تريد؟.

نظر إلى السماء عابساً للحظات، وكأنه يستجمع أفكاره، ثم قال:

ـ أنت على حق.. لقد تبعتك اليوم.

رفع يده ليمنع الاحتجاج الذي كانت على وشك أن تقوله:

ـ كنت أفتش عن فرصة لأعتذر لك على ما بدر مني في الأسبوع الماضي. وبدت لي الفرصة مناسبة.

ـ لا حاجة للاعتذار.. فلننسى الأمر فقط.

ـ لا تظني بي الظنون، فآخر ما أريد في الدنيا هو الاساءة إليك... لكن يبدو أنني لم أفعل شيئاً سواها حتى الآن.

ـ أود حقاً نسيان الأمر.

رفع يده مجدداً ليصمتها:

ـ اصغي إلي فقط، أرجوك، فبطريقتي الخرقاء كنت أحاول اطراءك. كنت أحاول أن أكون صريحاً في نواياي. ولم أعتقد لحظة أنك سترتدين عليّ بمثل هذا العنف.

احمرت وجنتاها وهي تتذكر العرض الكريه لكنها قالت:

ـ ربما بالغت في ردة فعلي.. فما من أحد واجهني من قبل بمثل هذا المطلب.. وبدا لي ذلك.. لست أدري.. فظاً قاسياً خالياً من المشاعر.

ـ أنا لم أعتد المشاعر.

أمعنت فيه البصر:

ـ هذه الطريقة كانت ناجحة في الماضي؟

علا وجهه الاحمرار، وأعتمت تقطيبة شريرة قسماته. لكنه رفع رأسه واستقام في وقفته، ثم قال بصوت حاد قاطع:

ـ أجل.. هكذا هو الأمر.

ـ اذن.. أنا آسفة لأجلك.

أعرضت عنه ثم تابعت طريقها دون أن تلتفت.

ما أن ابتعدت بضع خطوات حتى أدركت أنها ترتجف من هذا اللقاء الغريب.. كانت تعرف أنه ما زال واقفاً هناك، بجسده الضخم يحدق إليها.

لم تتمكن من الاسترخاء إلا بعد أن اتخذت منحنى حجبها عن ناظريه، لكنها حين هدأت أعصابها تحوّل اضطرابها إلى غضب.

بعد ساعة من السير الحثيث أحست أنها اكتفت. أصبحت الشمس المشرقة في كبد السماء الزرقاء، تلوح فوق الرؤوس تماماً. وعليها الآن أن تعود أدراجها حيث أتت لكنها بدأت تحس بألم في ساقيها.

لكن هذا التعب كان نوعاً جيداً، يختلف عن الارهاق النفسي الذي يسبّبه التمثيل. سرعان ما سينتهي هذا كله، وينتهي عهدها بالفن إلى الأبد.

بدا لها على جانب الطريق أن السيارات قد تضاعفت عما كانت عليه. حين وصلت إلى سيارتها وجدت أن ڤان كبيراً قد سدّ عليها الطريق تماماً.

ماذا ستفعل الآن؟ كيف ستجد صاحب الڤان في هذه البرية الواسعة المليئة بالمتنزهين؟ أخذت تدور وتلف حول السيارات علها تجد مخرجاً.. لكنها أخيراً اضطرت إلى قبول واقعها.. فهي

عالقة هنا حتى يشاء صاحب الڤان.

لذا ليس عليها الا انتظار ذلك المجرم الفاسد، الفاقد الشعور حتى يظهر. قد يكون هذا بعد ساعة أو ساعات.

بعد نصف ساعة، أحست أنها على وشك الاغماء والتقيؤ من جرّاء حرارة الشمس.. فتخلت عن الانتظار، وراحت تبحث عن شخص حسن الأخلاق يوصلها إلى أقرب مكان تستطيع منه الاتصال بفريق عمل ما لانقاذها، كانت تتوجه إلى ظل الأشجار حين سمعت صوتاً يقول لها:

ـ ألديك مشكلة؟.

التفتت ببطء وإذا بها ترى أليوت هنتلي يدنو منها. عندما رأت وجهاً مألوفاً لها، فقدت السيطرة على أعصابها فتغضن وجهها وأحرقت الدموع عينيها... ولم تدر إلا أنها تنتحب على قماش قميص أبيض، تسند وجهها إلى ما خلفه من صدر عريض، كان صاحبه يربت لها ظهرها بارتباك.

أخيراً، وبعد عدة لحظات ارتدت تقول بصوت مرتفع متأوه:

ـ أنا آسفة.. لكن انظر ما فعل ذلك الغبي! لا أستطيع الخروج بسيارتي!.

دون أن يقول كلمة، بدأ الرجل المديد القامة يتفحص الموقف.. وراقبته بقلق وهو ينظر إلى داخل «الڤان».. ثم انحنى ليتفحص المسافة بين السيارتين. ولم يلبث أن وقف لينفض يديه ويعود نحوها.

ـ آسف.. لا أرى وسيلة للخروج. أخشى أنك عالقة.. فحتى وإن دخلت إليها، وأرخيت فيها فرامل اليد لن أستطيع شيئاً فهو لم

يترك أي مجال بل هو أيضاً عالق كذلك مثلك. تعالي سأعيدك معي إلى منزلك.

ـ لكن السيارة؟

ـ لا تقلقي.. سأهتم بأمرها.

امسكها بخفة من المرفق، وساعدها على السير نحو فسحة صغيرة خاوية في الطريق تحتلها سيارة جاكوار سوداء لا خدش فيها... دخلتها نيكول شاكرة لأنها تخلصت أخيراً من مأزقها فكان أن أسندت ظهرها بقوة إلى المقعد متنهدة بارتياح.

أحست فجأة بالتوتر، فاستدارت لتنظر إليه بحدة، لكنه كان قد التفت إلى الوراء ليرجع السيارة، لم تكن قسماته الخشنة تحمل أي تعبير. عندما أعاد وجهه إلى الأمام للانطلاق التقت عيونهما بعض الوقت فسألها:

ـ هل أنت بخير؟

ـ أجل.. شكراً لك.. على انقاذي.. أستطيع قتل ذلك الأحمق لما فعله معي!

رد بهدوء:

ـ العالم مليء بالحمقى، ولا داعي لرفع ضغط دمك بسببهم.

أثناء الطريق تذكرت أن منظرها يوحي بالكارثة.. فوضعت يدها على شعرها، الذي انسل في عقدته الحمراء. إن حالة وجهها دون شك مزرية فهو امتزج بالغبار والعرق والدموع. أحست بفظاعة ما تبدو عليه، فاستوت بذعر جالسة، فسألها هنتلي:

ـ أثمة خطأ؟

ـ كنت أفكر في منظري الأشعث. إنني لا أكاد اجرؤ على اخراج المرآة.

صمت قليلاً ثم قال بصوت حاد، دون أن يلتفت:

- تبدين رائعة كما أنت دائماً.

فأدارت وجهها تحدق فيه دهشة:

- أنت تمزح دون ريب.

- ولماذا تقولين هذا؟

- حسناً، أعرف ما أبدو عليه حين يكون مظهري أشعث.

أليس منظرها الجميل هو ما جذبه إليها أساساً؟ وهز رأسه:

- أنت مخطئة.

كانا قد وصلا إلى المبنى الذي تقع فيه شقتها الآن فكان أن أوقف سيارته في الموقف المخصص للسيارات، وجلس دون حراك تستريح يداه الضخمتان على المقود.

مدت نيكول يدها إلى قبضة الباب:

- حسناً.. شكراً لك ثانية سيد هنتلي. أشكرك..

- أليوت.. اسمي أليوت.

- حسناً.. شكراً أليوت.

- سأكلف أحداً بنقل سيارتك بعد الظهر.

- اوه.. لا تزعج نفسك فقد قمت بما يكفي

- اسمحي لي بذلك فستسرني مساعدتك.. وربما أستطيع اقناعك بتناول العشاء برفقتي الليلة.

سرعان ما تصاعدت مخاوفها من جديد، فنظرت إليه بريبة. لكنه بدا لها مسالماً. فحتى مظهره الضخم ما عاد يخيفها. لقد كان لطيفاً معها فلماذا لا تقبل دعوته؟

بينما كانت تفكر، مد يده ليضعها على خدها، ثم باصبع واحد

راح يتبع ببطء خطوط وجهها، فمها، ذقنها، ثم وصولاً إلى أنفها المستقيم وحينها وضع راحة يده على وجنتها كلها.

استكشافه البطيء الحذر، لمسته الخفيفة التي لم تكد تلمس بشرتها، كان لها تأثيراً حميماً... وكأنه مد يده تحت ثيابها ليلامس بشرتها.

ارتجفت قليلاً وارتدت متمتمة بصوت يرتجف:

- ماذا.. ماذا تفعل؟.

دون أن يرد، أرجع خصلة من خصلات شعرها خلف أذنها، ثم سحب يده وألقاها ثانية على المقود وقد عاد إلى وجهه تعابير الجد والرصانة. ثم قال بصوت منخفض:

- أنت جميلة جداً.

لم تعرف ماذا ترد.. أحست بالاطراء وبانتهاك الحرمة في آن. ماذا يحاول أن يفعل بها؟ يبدو أنه يفاجئها دائماً. أردف كلامه فجأة:

- والآن.. أثمة مكان خاص تودين الذهاب إليه الليلة؟ ومتى آتي لاصطحابك؟

فتحت الباب، ودفعته ثم انسلت خارجة:

- آسفة، لا أستطيع تناول العشاء معك الليلة.

- فهمت.. لكن ألا تستطيعين أم لا تريدين.

- أثمة فرق؟

- أجل.. بالنسبة لي.

- حسن جداً.. لا أريد العشاء معك الليلة. أهذا واضح أكثر؟

- كل الوضوح... اذن أنت ما قصدت ما قلتيه لي في آخر لقاءنا؟

- وما هو؟

- حين اعترضت بصلابة على كلامي الصريح، مقترحة أن أحاول طريقة مقبولة ملتوية في المرة القادمة.. ألا تذكرين؟

- ليس لدي فكرة عما تقول. أنا أقترح عليك شيئاً؟

- ألم تقولي إنك تفضلين أن أدعوك إلى العشاء؟ وأن أرسل لك الزهور؟

- حسناً ربما قلت هذا.. لكن...

- وها أنت الآن تعترضين على هذه الطريقة أيضاً؟

- اسمع، لا يعجبني هذا الاستجواب، فأنا لست في محاكمة. حين قلت لك ما قلت لم أقصد نفسي تحديداً بل كنت أتحدث بوجه عام.

- اذن.. ما زلت ترفضين قبول دعوتي إلى العشاء؟

- صحيح!

- حسناً... فليكن ما تريدين.. لكن سأقول لك أمراً.

تراجعت عنه:

- وما هو؟

- أنا رجل صبور نيكول، وعنيد لا أستسلم بسهولة.. ثقي كل الثقة من شيء واحد، وهو أنك ستكونين لي في النهاية.

ففتحت فمها، ثم أطبقته وارتدت على عقبيها غاضبة بل تستعر غضباً.

لكن قبل أن تفتح الباب الزجاجي، سمعت صوت اطارات الجاكوار السوداء تصدر عويلها فوق الطريق المعبدة.

عندما نهضت من سريرها وجدت سيارتها هناك.. إنه صادق الوعد، لقد اهتم بالسيارة لأجلها.. ويجب أن تشكره.

حسناً.. حين تراه في المرة القادمة ستشكره بأدب.. وهذا دون شك سيأتي قريباً فهو كما قال ليس بالرجل الذي يستسلم بسهولة.

* * *

www.elromancia.com

٤ ـ همهمة المشاعر

كانت نيكول تتوقع رؤيته في الصباح التالي في موقع التصوير أو في الأستديو، فبعد أن تركها أمس عجزت عن نسيان حديثهما.. ومع أن آخر كلماته كانت تهديداً إلا أنها لم تستطع إلا التساؤل عن المناورات الجديدة التي سيطالعها بها.

حين لم يظهر هنتلي ذلك الصباح. أصبحت حائرة في أمرها فهي لم تصدق أنه تخلى عن ملاحقتها.. لكنها كانت حاسمة في رفض دعوته، وربما فهم الرسالة أخيراً.

لم تدرِ لماذا أحست بخيبة أمل حين دخلت غرفتها في المؤسسة ولم تجد الزهور كالعادة لليوم التالي، الزهور التي لم تشكره عليها حتى. ربما سيتصل بها لاحقاً، وحينها ستشكره.

لكن الاتصال الوحيد الذي تلقته طوال بعد الظهر، كان من دون اندرسون الذي راح يذكر لها بعض الملاحظات ثم طلب منها تناول العشاء برفقته وبرفقة ليونا ذلك المساء.

في السابعة مساء، كانت جاهزة للذهاب للقاء دون وليونا وقد غدا لها واضحاً كل الوضوح الآن أن هنتلي لن يتصل. التقت بصديقيها كما هو مخطط في قاعة طعام فندق لا نشستر.. حالما جلسوا إلى طاولتهم التفتت إلى دون:

ـ على فكرة.. أتساءل ماذا حلّ بهنتلي؟

ـ وماذا تعنين؟

ـ لقد شاهدته هنا يوم أمس، ربما جاء ليشرف بنفسه على سير العمل فعلى كل الأحوال هذا ماله.

ـ لا لم يحضر إلى موقع التصوير.. بل لم يقل لي أحد هذا. لقد أوضح بما فيه الكفاية أنه أوكل مسائل الانتاج وما شابه إلى جون سوليڤان.. أتذكرين؟.

فسألتها ليونا:

ـ أين شاهدتيه؟

ـ حول المكان.. أعتقد، ليس في الموقع نفسه. على كل لا يهم، كنت أتساءل بفضول فقط.

حدق فيها كل من ليونا ودون باهتمام ظاهر. فاخفضت عينيها إلى طبقها وتناولت ملعقة من السلطة، ثم رفعت رأسها فإذا بها تجدهما ما يزالان يحدقان فيها فازدردت الطعام بسرعة حتى كادت تختنق، ثم تناولت جرعة ماء بسرعة. وحاولت تغيير الموضوع:

ـ هل شاهدت الأفلام التي صورت حتى الآن دون... كيف يبدو لك العمل حتى الآن؟.

وانطلق دون يتحدث في موضوعه المفضل، فشعرت عندها بالراحة لأن مسار الحديث انتقل إلى مسار آخر... لقد أسفت جداً على اثارتها موضوع أليوت هنتلي.. وكان يجب أن تعرف أنها لن تستطيع اخفاء شيء عن ليونا... لكنها لن تتكلم عنه، فلديها أشياء أخرى تشغلها.

انتهى التصوير في لندن واستعد الفريق للانطلاق إلى وستمنستر يوم الاثنين صباحاً. فكان أن تمكنت نيكول في نهاية الأسبوع من

التنزه لكنها كانت أثناء نزهتها تبقي عيناً صاحية حولها بحثاً عن أي دليل على وجود هنتلي، أو سيارته، إلا أنه لم يظهر لها أبداً.

مساء الجمعة أي بعد شهرين من العمل الدؤوب، تلقت نيكول دعوة للعشاء، من قبل مدير العلاقات. لم تكن تريد قبول الدعوة لكن إلحاح دون وليونا وجيري مساعد دون جعلها ترضخ لهم.

اصطحبها مساعد دون فراحا يتحدثان عن المسلسل الذي يُتوقع أن يأخذ شهرة واسعة النطاق، فنسيت في غمرة حديثها أن تنتبه إلى أين يصطحبها لكن حين وصلا أمام منزل أبيض ضخم، موقعه بعيد عن الطريق العام دهشت.

بدا لها منزلاً خاصاً، لكنه في الواقع كان مطعماً. إذ كانت عنده السيارات مصطفة وأمام البوابة لوحة كبيرة تدل على اسمه (اوستاس). قالت ليونا التي انضمت مع دون إلى نيكول وجيري مساعد دون.

ـ واه.. اوستاس! لم أفكر قط في أنني سأدخل يوماً إلى مكان كهذا.

وسأل دون:

ـ هل أنت عضو هنا جيري؟

وهمست نيكول إلى ليونا وهما تسيران معاً إلى المدخل:

ـ وما هو (اوستاس)؟.

قبل أن تجيبها وصلوا إلى المدخل، وفتح لهما جيري الباب.. داخل البهو حياهم رجل طويل كهل يرتدي بذلة سوداء رسمية، اندفع أمامهم مرحبا. حين راح جيري يحادثه، أخذت تتأمل المكان باعجاب.

وسرعان ما أومأ جيري لهم.. فسبقهم الساقي إلى غرفة الطعام الكبيرة حيث الطاولات مرتبة بشكل متباعد، طلباً للوحدة، وتصاعدت همهمة الحديث المكبوت يرافقها تعالي أصوات الضحك بين الحين والحين... في الجو كانت تتعالى أصوات الموسيقى ويرتفع رنين الأقداح والأدوات الفضية.

وجدت نيكول أن مقعدها هو التالي على رأس المائدة يجلس قربها دون. حين جلست لاحظت أن المقاعد كلها امتلأت إلا مقعد على رأس المائدة... بعد أن قُدمت لهم لائحة الطعام، وصلت المشروبات. التفتت نيكول إلى دون:

ـ ما هذا المكان؟ اعتقد أنني لم أسمع به من قبل.

ـ إنه في الواقع نادٍ خاص... غالي الثمن.

ـ اوه؟

ـ أجل.. هناك سلسلة منه في مواقع عدة من البلاد ولديهم أمكنة يبيت فيها بعض الأعضاء.

ـ أتعني أن هناك من يسكن هنا؟

ـ طبعاً... وكوني أكيدة أن هذا يكلف ثروة.

ـ اذن، كيف صدف أن يكون عشاءنا في هذا المكان.

ـ اوه... ها قد وصل جوابك بشحمه ولحمه. جواب وجودنا المتواضع في هذا المحيط الفخم بان.

أدارت نيكول رأسها ببطء.. لكن حتى قبل أن ترى القادم عرفت من يعني دون بقوله. وتساءلت لماذا لم تستنتج بسرعة صاحب الجاه القادر على تحمل عضوية نادٍ فخم مثل «اوستاس».. وها قد فاجأها مرة أخرى.

كان إليوت هنتلي يسير الهوينا واثق الخطى، يتقدم على طول

الطاولة ويتوقف في طريقه متحدثاً مع كل مدعو. كان الجميع يبذل الجهد لادعاء المعرفة الشخصية بالرجل الكبير.

إما أن تكون قد اعتادت على مظهره، وإما أنه لم يكن قط قبيحاً كما اعتقدت مرة.. كانت قسماته البارزة الليلة ترسم مزاجه الجاد، لكن ما اعتادت أن تعتبره قساوة، أو وحشية تقريباً، بدا لها الآن أقرب إلى مزايا السلطة والتحفظ المتكبر.

عليها أن تقرر بسرعة كيف ستتصرف خلال هذا اللقاء غير المتوقع... هل تدعي الغضب؟ أتبقى متباعدة باردة؟ أتريه بطريقة مؤكدة أنها ما زالت في منأى عن متناول يده؟.

حين وصل إلى مكانه، علمت أن كل ما فكرت فيه ليس سوى هراء... فقد انتهى تصوير المسلسل، وانتهى عملها في هذا المجال، فلماذا تفسد هذه الحفلة بعدائية لا لزوم لها؟ فكل ما جذبه إليها كان جمالها وتبرجها وأناقتها، وحين تنتهي من التمثيل لن تعود إلى التبرج وإلى العناية بجسدها وعندها سيزول اهتمامه بها.

وقف خلف كرسيه، هز رأسه باقتضاب نحو دون الذي وقف رداً على التحية ثم عاد إلى الجلوس متهالكاً بعد أن جلس هنتلي.

في تلك اللحظة فقط التفت إلى نيكول، وابتسامة خفيفة على شفتيه.. وقال بصوت منخفض.

ـ حسناً.. التقينا ثانية.

ردت الابتسامة، واضعة فيها لمسة برودة.

ـ هذا صحيح اذن.

ـ أكل شيء على ما يرام؟ الخدمة؟ المشروبات؟

ـ عظيمة جميعها... وأنا سعيدة للفرصة التي أتيحت لي للتحدث معك للمرة الأخيرة.

ـ اوه؟ ولماذا؟

ـ لأنني لم أشكرك بعد على ارجاع سيارتي.. كيف تمكنت من هذا؟

ـ كلفت رجالي بالاهتمام بالأمر.

فضحكت ضحكة صغيرة وقالت ساخرة:

ـ أحسدك على رجالك. ولا أمانع في أن يكون حولي بعضاً منهم.

ارتدّ في كرسيه، ينظر إليها مقيماً. ثم علق بكل عفوية:

ـ أجد صعوبة في أن أصدق أنه ليس لديك أكثر من شخص تحت امرتك.

ـ أخشى أنك مخطىء.. لا يجب أن تصدق الخرافات التي تقول إن الممثلات يعشن حياة فخمة متألقة، يحيط بهن المعجبون كالعبيد... فأنا مثلاً مضطرة لمعالجة المشاكل المزعجة في الحياة بنفسي.

ـ إنه دون ريب اختيارك.

ـ حسناً.. أجل. أعتقد أنه اختياري.

ـ هل قررت ماذا تريدين أن تأكلي؟

ـ ما أحب أن آكله هو كل ما ورد في لائحة الطعام تقريباً. لكنني سأقنع بالستيك والسلطة، دون المقبلات. بل ما كان يجب أن أشرب هذا الشراب حتى.

حضر الساقي لتسجيل طلباتهم.. حين ذهب التفت هنتلي إليها ثانية.

ـ أعتقد أنك ما زلت تمارسين الحمية.

ـ صحيح.. لكن الشكر لله، لن يدوم الأمر فترة طويلة!

ـ وكيف هذا؟.

ـ هذا آخر عمل تمثيلي أقوم به وكما تعلم، لم أكن في الواقع أريد القيام به. لكن دون اندرسون أقنعني بالقبول، فقد كان هذا العمل يعني الكثير له.. أضف إلى ذلك أنني لم أستطع مقاومة المبلغ الضخم الذي سأتقاضاه أجراً عليه.

ـ المبلغ يستأهل العمل، بالنسبة لي.

وأعرض عنها ليتحدث إلى ليونا التي كانت تجلس إلى يساره ووصل العشاء الذي قُدِّم لهم بذوق وأناقة. تبادلت نيكول الحديث مع دون بشأن المسلسل في حين أن هنتلي لم يتحدث إليها حتى انتهى العشاء وذلك حين بدأ الساقي يصب القهوة. فلاحظت عندها أن عينيه ثابتتان عليها وسمعته يسألها:

ـ ماذا ستفعلين بعد ترك التمثيل؟ ألديك خطة للزواج؟.

ـ اوه.. لا!.

وأخبرته عن قرارها بالعودة إلى الدراسة، وعن العمل الجزئي في الاشراف الاجتماعي في مدرسة تعنى بأولاد الفقراء المحرومين... فقال معلقاً بعد أن انتهت:

ـ أمر عظيم.. لقد كنت أحد من سميتهم الأولاد المحرومين. كنت سأستفيد طبعاً من مساعدة شخص مثلك.

نظرت إليه بريبة قائلة:

ـ وماذا تعني؟

ـ أعني أنني كنت يتيماً وقد تحملت مسؤولية نفسي منذ أن كنت في الرابعة عشرة من عمري.. الأمر ما عاد مهماً الآن.

يبدو أنه لا يريد التحدث عن نفسه، وهذا ما زاد في فضول نيكول. فقد كانت تعتقده ورث ثروة عن والده لذا لم تصدق أن رجلاً له هذا الثراء وهذه الشركة التي تعتبر احدى أهم الشركات في لندن قد بدأ حياته من الصفر.

في مكان ما، من قاعة الطعام، كانت باحة رقص صغيرة ضئيلة الضوء حتى كادت لا تبدو واضحة من حيث تجلس. طفق المدعوون يتوجهون إليها للرقص على أنغام الفرقة الموسيقية تساءلت نيكول التي تحب الرقص ما إذا كان هنتلي سيراقصها، مع أنها لم تكن تريد أن ترقص مع هذا الرجل الغامض الصامت.. لكن، بما أنه مضيفها، فمن الصعب الرفض.

أرجع دون كرسيه إلى الوراء، ووقف يربت كتفها:

ـ أترغبين في الرقص نيكول؟

ـ سأكون سعيدة دون.

دون أن تنظر إلى هنتلي، هبَّت للانضمام إلى دون، بعد ذلك رقصت بشكل دؤوب مع جون سوليڤان ودون ثانية ومع جيري.

لم يتحرك هنتلي قيد أنملة عن مكانه على رأس المائدة لكن نيكول كانت من وقت إلى آخر ترمقه وهي تستدير مع شريكها قرب المدخل ذي القنطرة وكانت في كل مرة تراه جالساً بعزلة مع نفسه، وكأنه لا يقوم بشيء غير التدخين وشرب القهوة لكن عينيه لم يفتهما شيء، إذ كانت كلما نظرت إليه يحني رأسه باتجاهها.

قال لها جيري هامساً في أذنها:

ـ أنت أجمل امرأة في المكان كله نيكول وأروع ممثلة.

رفعت بصرها إليه بحدة.. فلاحظت أنه يمسك بها بقوة فردت

ببساطة:

ـ شكراً لك جيري. لكن هذا لن يدوم فسأعتزل التمثيل وعندها سيذهب تألقي كله.

ـ آسف لسماع هذا، لطالما كنتِ الممثلة المفضلة لدي.. وكنت أحس بالسعادة حين أعمل معك.

في تلك اللحظة، داس على قدمها. وكادا يقعان معاً على الأرض فتمتم جيري معتذراً، واشتدّ احتضانه لها، لكنه تمكن بطريقة ما من الاقتراب من الأبواب الزجاجية التي تقود إلى الشرفة المسقوفة. كان الليل قد غدا بارداً والشرفة بدت فارغة إلا من بعض الأزواج الذين يجلسون في الحديقة على الكراسي المنتشرة، قالت متمتمة:

ـ الهواء بارد هنا جيري. فلنعد إلى الداخل.

كان يحدق فيها بطريقة تعرفها جيداً.. اوه.. لا! إنه يوشك على أن يغازلها، فهو ما يزال يمسك خصرها، يلصق جسدها بجسده. وحين بدأت تحاول الخلاص من قبضته، وضع يديه على ظهرها المكشوف، ومال برأسه إليها قائلاً بصوت حميم منخفض:

ـ كنت أحسّ دائماً بشيء ما تجاهك نيكول.

ثم تقدم رأسه نحوها بشكل محدد. فأشاحت وجهها عنه فكان أن وقعت قبلته الرطبة على خدها. استعرت غضباً.. إنها تحب جيري.. لكنها تكره منه هذا... تكره من يغازلها بهذه الطريقة. لذا ليس أمامها إلا أن تقسو عليه.

فجأة.. بدا أنه ارتد عنها بقوة. وحين أدارت رأسها لترى ماذا حصل.. برز أمامها أليوت هنتلي من حيث لا تدري. كان يقف خلف جيري تمسك يده اليمنى الضخمة كتفه بقوة، والأخرى

تمسك مؤخرة عنقه، جاذباً رأسه إلى الوراء بقسوة جعلته يصرخ متألماً.

وقال هنتلي بصوت عميق منخفض يحمل الغضب فيه:

ـ هذا يكفي.. إذا كنت لا تستطيع التصرف كسيد مهذب فمن الأفضل أن تغادر المكان الآن.

التفت إليه جيري مذهولاً. ثم تذكر أن اليدين اللتين تنتزعانه عن نيكول تمسكان مفتاح المال كذلك. فتمتم بشيء غير مفهوم، وانسحب.

حدقت نيكول في جسده المتأرجح وهو ينسحب، مذهولة مصدومة من تدخل هنتلي السريع الفعال.. ودون أن يتفوه بكلمة وضع أليوت ذراعه حول قدّها وأمسك يدها ثم بدأ يراقصها على الشرفة. حين استفاقت من صدمتها، نظرت إليه والنار في عينيها:

ـ لم يكن ما فعلته ضرورياً.

رفع حاجبه فقط.. ثم أكمل الرقص، فراح توترها عندئذٍ يزداد مع كل خطوة يخطوها، أولاً لأنه راقص ماهر، يرقص برشاقة فائقة بالنسبة لرجل ضخم، ثانياً وأساساً لأنه استمر في تجاهل احتجاجها..

رفعت صوتها لتكمل حديثها:

ـ قلت لك... إنك لم تكن مضطراً لفعل هذا... كنت قادرة على التعامل معه تماماً.

ـ هكذا اذن.

توقف عن الرقص في زاوية من الشرفة، ثابتاً أمامها حاجباً عنها النور القادم من قاعة الطعام وراءه.. لكن النور كان كافياً لترى

عبوسه ونبضه الخفيف الذي كان يتحرك على عظام فكه.. بدا غاضباً في جموده هذا.. جداً.. جداً.

حاولت الارتداد خطوة إلى الوراء، لكنها اصطدمت بحاجز الشرفة الذي صدمت برودة حجره ظهرها المكشوف تحت ياقة فستان السهرة، فكان أن جعلتها البرودة والتوتر تتهور، فرفعت عينيها إليه، وقالت بحدة:

ـ ليس شأنك أن تتدخل في ما لا يعنيك. إذ لا يعجبني الرجل الذي يتصرف كالحيوان. جيري ليس فقط مساعد مخرج بل هو أيضاً صديقي. و...

صمتت، واتسعت عيناها، حين رأته يتقدم منها فجأة، ماداً ذراعه إليها. اعتقدته سيصفعها بها، لكنه فتح يده ووضع راحته على الجدار خلفها، ثم مال واضعاً وجهه قرب وجهها.

قال لها بصوت منخفض، يضج بالشرر:

ـ ترفضين قبول عشاء بسيط معي، لكنك تقبلين بسعادة أن يغازلك ذلك القذر.

قبل أن ترف لها عين، أمسك بيد من حديد كتفها العارية وجذبها بقوة إليه.. مطلقاً سراح كل العنف المكتوب في داخله، ليتخذ شكل عناق.

أخيراً.. وبعد مضي ما بدا لها دهراً، ارتدّ عنها فجأة، فوقفت جامدة تشهق، وهي تكاد تجهش بالبكاء... ورفعت يدها فوق قلبها الخافق ونظرت إليه بذهول.. فإذا به يبادلها النظرة، إنما بأخرى مشبعة بالرضى.. ولم يلبث أن ارتدّ على عقبيه مبتعداً عنها.

عادت إليها أنفاسها بانتظام ثانية، كان طيفه الطويل الضخم يختفي.. عندئذٍ فقط.. انهارت.. وراحت ترتجف من رأسها إلى أخمص قدميها، خافقة القلب، تستند إلى الحاجز الحجري البارد، دون أن تشعر به.

ثم شرعت ببطء تمسح فمها بظاهر يدها.. لكن ساقيها على ما يبدو ما عادتا قادرتين على حملها... فجربت خائفة الوقوف عليهما دون الاستناد إلى الحائط... مع أنهما ما تزالان مرتجفتان....

إلا أنها تمكنت من الخطو بضعة خطوات.. وليس في ذهنها إلا الخروج من هذا المكان... فهي بكل بساطة لن تستطيع رؤيته ثانية.

حين كانت تجتاز الشرفة باتجاه قاعة الطعام، كان رأسها قد أعدَّ خططاً عديدة للانتقام منه.. ستتصل بالشرطة.. ستبلغ ادارة المكان.. وستقص القصة أمام الصحافة.

لكن وبينما هي تحلم بالسيناريو الجديد الذي تؤلفه الآن، أحست بأن كل ما تفكر فيه غير مجدٍ، فهو ليس بذي سلطة خارقة فقط بل هو رجل خال من العواطف بحيث لا يمكن المساس به وبمشاعره.. فهو يرى ما يرغب فيه، ويحصل عليه، دون الاهتمام بمن يتألم أو يحس نحوه..

حين وصلت إلى القنطرة، استرقت النظر من تلك الزاوية إلى الطاولة قبل أن تتوجه إليها. كان جميع الموجودين يقفون حول الطاولة، دون أن يكون بينهم أثر لهنتلي الذي دون ريب قد ذهب.

ثم لمحتها ليونا.. وأسرعت إليها قائلة:

ـ اسمعي، أظن السهرة انتهت. جيري دائخ يتقيأ، ودون يصب القهوة المرة في جوفه. وأظن أن على دون أن يوصلنا جميعاً.. أأنت مستعدة للذهاب؟

ـ أجل.. مستعدة... إنها فكرة رائعة، لا بد أن الساعة تجاوزت العاشرة الآن.. وأمامنا بضع لقطات غداً.

ـ هنتلي تركنا. أحدث شيء على الشرفة؟ خرج منها وكأنه ثور هائج. لعل أحداً لم يزعجه فهناك فواتير يجب أن يدفعها.

فردت نيكول كاذبة:

ـ لا.. لم أشاهد شيئاً.

تفرست ليونا في وجهها:

ـ هاي.. أأنت بخير؟

ـ طبعاً.. لمَ السؤال؟

ـ تبدين شاحبة.

أجبرت نيكول نفسها على الابتسام:

ـ إنه قلق اللحظات الأخيرة.. فأنا متوترة الأعصاب حتى انتهاء هذا المسلسل اللعين في الغد... لقد بدأت أسأم التمثيل كله.

مع أنها ما تزال منزعجة مما حدث الليلة، إلا أنها تدريجياً راحت تشعر بصوت ثابت صغير في أعماقها يحاول ايصال نفسه إلى سمعها، وذلك منذ اضطجعت في فراشها.

كان الصوت يقول لها إن ما حدث ليس سوى عناق بسيط، ولكن كان عليها الاعتراف بأن جزءاً منها قد تجاوب بالفعل معه. وأنها رغم غضبها، قد تمتعت بلذة سرية لم تشعر بمثلها قط.

تنهدت تنهيدة عميقة أخرى ثم اضجّعت على ظهرها في

الفراش. لم يعد الأمر يهم.. لقد أوضح رأيه فيها.. وهي لا تخجل من مشاعرها نحوه.

لن يزعجها بعد الآن أبداً.

* * *

٥ ـ نظرات طائشة

يوم السبت، انتهى تصوير آخر مشهد بعد الظهر.

لم يتطرق أحد لذكر حفلة الجمعة إلا جيري الذي جاء مرتبكاً في الصباح الباكر يقدّم اعتذاره، فحين وصل إلى الأستديو سارع إلى جذبها بعيداً عن الأسماع.. واعتذر.

ـ إن الطريقة التي تصرّف بها هنتلي جعلتني أظن انكما.. تعلمين ماذا.

ردت بحزم:

ـ لا. ليس هناك شيء بيننا.. صدقني.

أشارت نظرته إلى أنه لم يصدقها.. لكنها الآن ما عادت تأبه. ها قد انتهى كل شيء الآن.. وعادت إلى شقتها، حرة من كل القيود والأنظمة التي تفرضها حياة الفن وحرة للسير قدماً إلى عمل يرضيها في المستقبل.

يوم الثلاثاء، قصدت مؤسسة الارسال، لتأخذ بعض حاجياتها ثم ودعت ليونا بانفعال عاطفي وبعد ذلك غادرت بسرعة وهي مصممة على أن تغير نمط حياتها، وصورتها معاً إلى الأبد.

عملها الاجتماعي مع جمعية مساعدة الأطفال المحرومين لن يبدأ قبل شهر أيلول.. أي بعد ثلاثة أشهر.. لكن دروس التدريب

في جامعة اوكسفورد ستبدأ يوم الاثنين التالي.. وهذا ما يمهلها اسبوع فقط للتحضير.

المهمة الأولى التي واجهتها كانت التحرر من كل ما يذكرها بأيام التألق. أبعدت ملابسها الفائقة الأناقة، وأدوات التجميل المتعددة ووضعتها جميعاً في خزانة بعيدة حتى لا تغرّها نفسها في انزالها من مكانها ثانية.

أما الملابس الأخرى التي ليست بأنيقة كل الأناقة فقد وضعتها في متناول يدها.

حين انتهت من التوضيب، نظرت برضى إلى الصف الجديد من البذلات والقمصان.. ثمة بضعة أزواج من الأحذية المعقولة، ومعطف شتائي جيد، وزوج من الأحذية العالية الساق، وكومة من الكنزات الصوفية.. هذا كل ما ستحتاج إليه طوال فترة الشتاء القادم.

نظرت إلى صورتها في المرآة، وكأنها ترى نفسها للمرة الأولى فإذا هي صورة عن المشرفة الاجتماعية الهزيلة بقميصها الأبيض وتنورتها الكحلية وبخلو جيدها من الحلي وبوجود النظارة فوق أنفها. عبست لنفسها عبر المرآة وكأنها توّنب تلميذاً عاصياً، ثم انفجرت بضحك متوتر.

تبين أن الدورة التدريبية ليست بالصعوبة التي توقعتها، لكنها مع ذلك تطلبت منها يقظة متتابعة. بعد فترة، تعب زملاؤها الأقدمون، من الاتصال بها لأنها كانت دائماً تعتذر منهم قائلة إن لديها بحثاً أو امتحان تريد أن تتهيأ له.

سرعان ما عقدت صداقات جديدة.. لكنها كانت دائماً ترى

نفسها في برامج تلفزيونية خاصة المسلسل الأخير الذي ذاع صيته وكثر مشاهدوه والذي كانت تراه كلما فتحت التلفزيون. مع أن مظهرها تبدل كثيراً، إلا أن أصدقاءها الجدد تعرفوا إلى الممثلة التي يتابعون برنامجها الرائع، في البدء كانوا دائماً يعاملونها على أنها الممثلة المحبوبة، لكنهم مع الوقت بدأوا ينسون مهنتها الأولى ويبنون معها علاقات على أساس واقعها الجديد.

مع مرور الوقت شكلت مع أربعة نساء في الثلاثين من العمر تقريباً مجموعة غير رسمية للدرس. كن يتناولن القهوة معها في مقر الاتحاد الطلابي، يأكلن غداءهن المنزلي المعد سابقاً في الهواء الطلق فوق العشب وتحت الأشجار، وأحياناً يدرسن معاً في الليل.

الصديقة التي أحست نيكول بأنها الأقرب منها، كانت قصيرة سمينة، مستديرة الوجه، بنية الشعر تدعى آغني ايردال التي كان أصغر أولادها قد ذهب إلى المدرسة في الخريف الماضي.

في نهاية الشهر الأول في الكلية، كانتا قد تعودتا بكل سهولة على احتساء القهوة معاً بعد المحاضرة الأولى التي كانت تتناول عادة مشاكل وتصرفات الصغار.

كانتا كلتاهما تبذلان الجهد للتفوق في هذه المادة. فنيكول لم تتصل منذ سنوات خمس بالأولاد. أما آغني التي هي، أم لأولاد أربعة فلم تكن توافق على نظريات تنفيذ النظام وقد قالت يوماً بغيظ وهي تجمع كتبها بعد الانتهاء من الدرس:

ـ هؤلاء الخبراء الذين لا أولاد لهم يجعلونني أتألم. إنهم لا يفهمون عما يتكلمون.

فابتسمت نيكول

ـ لا ترفعي صوتك.. فللجدران آذان.

خرجتا إلى الممر العريض المكتظ بطلاب الساعة التاسعة الذين

أنهوا درسهم. فأكملت آغني:

ـ صفعة جيدة على القفا تعطى نتائج أسرع بكثير من هذا الهراء الذي يتفوهون به فمما لا جدوى منه الدخول في نقاش مع طفل.

ـ حسناً.. هذا لابأس به في التعاطي مع أطفالك، لكنه لا يوافق السلطات التعليمية، هذا دون ذكر الأهل.

خرجتا معاً إلى دفء الشمس، كانتا في شهر تموز الذي راحت تتزايد فيه الحرارة يوماً بعد يوم.. وتابعت نيكول.

ـ ما هذا اليوم! الصيف يطبق علينا جيداً.. ما رأيك برائحة الورود هذه!.

كانت تحد مرجة الحرم الجامعي شتلات الورود ذات الألوان المتعددة: الأحمر الفاقع، والزهري الناعم، والأبيض النقي.. كان الهواء نقياً منعشاً، والشمس ساطعة ترسل أشعتها على هامات الطلاب السائرين في الممرات والساعين إلى صفوفهم التالية.

بينما كانتا تنزلان الدرج غير الطويل تنفست نيكول عميقاً رائحة الهواء اللذيذة. لم تشعر في حياتها بمثل هذه السعادة والرضى.. بعد ستة أسابيع ستنهي تدريبها، وتبدأ عملها الجديد. أيام عملها تحت الأضواء تلاشت إلى زوايا النسيان، وهي تفكر في الوقت الحالي بزيادة بضعة كيلوات إلى وزنها دون الاحساس بالذنب.

التفتت إلى آغني:

ـ ما رأيك بفنجان قهوة؟ أود مراجعة مذكراتي معك.

ـ حسناً.. ولكن بسرعة.. فأنا مضطرة لاصطحاب سام من المدرسة بعد ساعة.

سارتا في الممر الذي يقع يمين الحرم.. لم تَخْطُوَا إلا بضعة

خطوات حين لمحت نيكول، من طرف عينيها، صورة جسد طويل مألوف لديها.. حتى قبل أن تستدير لتتأمله جيداً علمت أنه أليوت هنتلي.. فما من أحد غيره له هذه الجرأة المثيرة، أو الكبرياء الخاصة أو شموخ الرأس هذا. اضافة إلى هذا، ما من أحد تعرفه له هذه الضخامة.

كان يتقدم نحوهن من جهة المرجة الخضراء الأخرى وهو ربما على بعد عشرين خطوة منهما، عيناه لا تشيحان عن الطريق أمامه، يحمل حقيبة أوراق جلدية رقيقة، أما أسارير وجهه فيخفيها قناع لا يوحي بشيء إلا أن جسده الضخم كان يتحرك برشاقة.

أعاد ليلاحقها مجدداً؟ لا.. هذا مستحيل. إنها لم تره منذ تلك السهرة، التي كانت قبل شهر من الآن. مع ذلك اضطرت لمقاومة ذكراه التي عاودتها في كثير من الأحيان رغم تصميمها على أنه خرج من حياتها إلى الأبد.

قبل أن تشيح بصرها عنه، تطلع فجأة نحوها فالتقت عيونهما، ودون أن تفكر فتحت فمها آلياً مبتسمة توشك على القاء التحية لكنه نظر إليها ببلادة للحظات، ثم هز رأسه لها برزانة، وتابع سيره نحو المبنى بخطوات طويلة واثقة.

أمسكتها آغني بذراعها تهزها قائلة:

ـ هاي... ما الذي يجري؟ هل شاهدت شبحاً؟.

التفتت نيكول نحوها بارتباك وحدة، مضرّجة الوجه من الاحراج والانزعاج.. فالرجل لم يعرها أكثر من انحناءه رأس عفوية.. لكنها سرعان ما علمت أنه لم يعرفها، فردت ببطء:

ـ أجل... بطريقة ما.

ثم التفتت ثانية تحدق في جسده المبتعد حتى توارى داخل المبنى، تبعت آغني نظرتها متسائلة:

ـ من هو؟ يبدو رجلاً مهماً.

ـ اوه.. إنه شخص التقيته يوماً.. في الواقع هو رجل مهم في مؤسسة موّلت آخر عمل فني لي، وهو ما تشاهدينه حالياً. لم أره منذ ذلك الحين، لذا أدهشتني رؤيته هنا اليوم... فأنا لا أفهم سبب تواجده في الجامعة.

ـ يبدو وكأنه قادم لشرائها.

ـ ربما لست بمخطئة.. فهو من ملوك المال.

ـ وهو أيضاً مثير للاهتمام، ليس بوسيم جداً، إلا أن له دون شك جاذبية خاصة فيها كآبة سوداء.

وارتجفت قليلاً من الاعجاب، فضحكت نيكول:

ـ أتظنين هذا؟

ـ حسناً.. لي ذوق خاص غريب.. أحب الرجال الغامضين.. أكتتما.. أنت وهو.. أعني.. تعرفين!

ـ اوه.. لا.. رباه.. كانت علاقة عملية فقط.

حين وصلتا إلى الكافيتريا، تناولتا القهوة وخرجتا إلى الشرفة، لمتابعة نقاشهما حول المحاضرات.. لكن سرعان ما انجرف تفكير نيكول نحو أليوت هنتلي.

كانت خلال ربع ساعة مشغولة التفكير به، لذا لم تدهش حين رأته ثانية. فقد ظهر بكل بساطة في الشرفة واضعاً يديه إلى جانبيه ينظر إلى الطاولات المكتظة، حتى وقعت عيناه عليها فراح يدنو منهما ببطء.

حين أصبح على مقربة من طاولتهما وقف إلى جانبها بصمت ينظر إليها. هذه المرة لم تستطع الابتسام بل فكرت في تجاهله.. لكن هذا مستحيل خاصة بعد أن لاحظت أن آغني تحدق فيه دون أن تخفي اهتمامها.. فقالت:

ـ صباح الخير سيد هنتلي.

قال بصوته العميق المألوف:

ـ أود الاعتذار لأني لم أعرفك حين شاهدتك. لقد غيرت مظهرك بشكل كامل منذ آخر مرة التقينا فيها. حالما أدركت أن من رأيتها كان أنت حتى أسرعت للحاق بك.

ـ فهمت..

أحست بأنه لم يُعجب بمظهرها الجديد، وهذا أمر متوقع لكن لماذا عاد وتبعها؟ كان ينظر إلى آغني الآن ومد يده إليها:

ـ أنا أليوت هنتلي.

أمسكت آغني بيده تصافحه ببلادة ذهن:

ـ هنتلي بنفسه؟ أعني مؤسسة هنتلي وشركاه؟ زوجي يعمل في مؤسسة أخرى مشابهة.. قد يبيعني والأولاد مقابل فرصة للعمل في مؤسستكم.. اوه يا إلهي.. أنا آسفة... إنه لساني ثانية.

نقلت نظرها من نيكول إلى الرجل ثم إليها ثانية ووقفت:

ـ نيكول. يجب أن أذهب لأحضر سام من المدرسة.. سرتني مقابلتك سيد هنتلي.

آخر شيء كانت ترغب فيه نيكول هو أن تبقى وحدها معه، لكن قبل أن تستطيع فعل شيء، أمسكت آغني كتبها وهرعت إلى مدخل الكافتيريا... حين التفتت نيكول ثانية إلى أليوت كان قد سحب

الكرسي التي شغرت ليجلس عليها، فقالت وهي تجمع كتبها:

ـ في الواقع يجب أن أذهب كذلك.

فرفع يده:

ـ أرجوك.. لا تذهبي.. أود التحدث إليك للحظات.

عادت إلى مقعدها عابسة:

ـ ماذا تفعل هنا على كل الأحوال؟

التوت أطراف شفتيه بابتسامة ساخرة:

ـ اوه.. لدي عمل هنا... إذا استطعت التصديق، سأقوم باعطاء سلسلة من المحاضرات.

اتسعت عيناها دهشة:

ـ في أي موضوع؟

ـ طلبت مني الادارة أن أقدم سلسلة من المحاضرات في الاستثمار وادارة الأموال خلال هذا الصيف، وجئت إلى هنا لمناقشة التفاصيل.

ـ هكذا اذن.

هز رأسه دون أن يقول شيئاً، ثم حدّق في غطاء الطاولة عدة لحظات، دون حراك أو كلام. حين رفع رأسه، كان في عمق عينيه البنيتين نظرة غريبة شبحية، وتنحنح بشدة... ثم قال بطريقته البطيئة العميقة:

ـ لست جيداً في مثل هذا، لكنني أعلم أنك لا تحبيني وأعرف كذلك أنني دمرت بتصرفي الأخير ذاك كل احتمال بالتقرب منك.

صمت لحظة ينظر إليها مدققاً بشكل مباشر:

ـ ولكن حين ابتسمت لي اليوم.. رأيت أنها فرصة سانحة لأقدم

لك اعتذاري.

تلاشى صوته، وأشاح بصره بعيداً.. فتأملته نيكول بحذر ودقة.. إنه رجل غير معتاد على الاعتذار مهما يكن الشيء الذي يستحق الاعتذار فأحست بالتأثر لما قاله، مدركة أن ما قدّم الآن من اعتذار قد كلّفه كثيراً.

لكن هذا التأثر لم يدم أكثر من لحظة، لأنها عادت فتصلبت رفضاً. إذ لن تؤمن بهذه اللهجة المتواضعة في صوته ولا بنظرة الندم على وجهه. فهذا الرجل خطر، تعلم هذا بكل غريزة تملكها، ومن المهلك التصديق بأن هناك ذرة نعومة خفيفة فيه. قالت له أخيراً:

ـ حسناً.. اعتذارك مقبول.

تحركت عيناه على وجهها مجدداً. فبدا وكأنه يريد قول شيء، ثم عاد فأشاح بصره هازاً رأسه... التقط حقيبته ووقف بسرعة، ثم أحنى رأسه مودعاً ودون أن يتفوه بكلمة ابتعد.

حين ابتعد عن ناظريها، تنفست نيكول الصعداء، ثم زفرت أنفاسها ببطء متسائلة عن هذا الشعور الذي يغمرها مجتاحاً مسام جلدها وكأن خطر ما يداهمها.

حسناً... لقد انتهى الأمر الآن فلتنسه.

لكن، في الأيام التالية، وجدت نيكول أن النسيان ليس سهلاً فقد بدا أنه موجود حيثما تذهب في حرم الجامعة، حين كانت تراه يقف في الممرات، وحوله مجموعة من الطلاب الذين كانوا جميعهم يبدون منصتين لكل كلمة تصدر عن «ساحر المال»... وأحياناً تراه يتمشى وحده في الخارج ينظر أمامه وحوله جو من

التركيز والتفكير، وأخرى تراه خارجاً من قاعة المحاضرات حاملاً حقيبة أوراقه بيده.

مع أنه كان دائماً يهز رأسه بأدب يحييها حين يلتقيان وجهاً لوجه، إلا إنه لم يحاول مرة التحدث إليها. انه يحافظ على وعده بهذا الخصوص، وهي سعيدة بهذا... أليس كذلك؟

لكن، لماذا الغضب منه أصلاً؟ إنها لا تذكر جيداً... الحفلة.. لكن هذا كله غدا في طيات الماضي الآن.. ماذا تريد أكثر من هذا؟.

في أواخر أيام شهر تموز، بعد ظهر ليلة أربعاء، كانت نيكول تجلس وحدها على شرفة مبنى اتحاد الطلبة تشرب القهوة، وتنكب على تناول حلوى بالبندق والمربى، تراجع بحثها، حين قطع ظل عليها تركيزها وأحست بوجود أحد قربها، وعلمت أنه هو.

ـ أتمانعين لو جلست معك؟ لا تبدو الطاولات الأخرى شاغرة.

تفرست فيه للحظة متسائلة عن البهجة التي اعتملت نفسها لرؤيته، لكنها لا تريده أن يعرف هذا. فابتسمت له ببرود:

ـ أبداً... لا مانع أبداً، اجلس.. فأنا سأغادر بعد قليل على كل الأحوال.

وضع فنجان قهوته على الطاولة وجذب الكرسي، وسألها حين جلس:

ـ كيف أحوالك؟

ـ اعمل جاهدة.

ارتشف القهوة.

ـ وكيف هي الدراسة؟

- جيدة.. شكراً.

- متى تبدئين عملك الجديد؟

- في الأسبوع الثاني من أيلول بعد ما يزيد عن الشهر تقريباً.

ران صمت قصير، قطعته بسؤالها:

- ماذا عنك؟ كنت مشغولاً حقاً.

- اوه.. أجل.

أنهى قهوته بصمت، ثم وضع الفنجان من يده وتنحنح قائلاً:

- نيكول. أريد أن تعرفي أنني كنت قد عقدت العزم على ألا أقترب منك أبداً. لكن، حين رأيتك اليوم صدفة ظننت أنني استحق فرصة أخرى، وإذا رفضتني، فسأفهم السبب.

اخفض بصره لينظر إلى الفنجان الفارغ... كان كل ما فيها من عقل سليم يصرخ بها أن تقف وتترك المكان، حالاً، قبل فوات الأوان. فوات الأوان على ماذا؟ لا تدري.. لكن هناك شيئاً ما على وجهه، راق لشعاع ضال في أعماق قلبها لا تعرف له وجوداً قبل لقائها بأليوت هنتلي.

إنه هو الخطر الذي تحس به. خطر وقع من قبل على المسكين جيري. وهذا ما أزعجها حقاً... لقد دعته اغني باللغز المبهم، الغامض، الكئيب. وهذه أوصاف تناسبه تماماً. مالت باندفاع عبر الطاولة لتقول له:

- اسمع... أنت من ألقيت الكرة من يدك.

ارتفع رأسه بحدة، وسألها بحيرة:

- أنا؟ وكيف فعلت هذا.

- أنت حتى لم تحاول.. أليس كذلك! لقد اعتقدت...

وصمتت، لا تعرف كيف تتابع الحديث في كلامها.. فسألها:

- أتقصدين، أنك كنت ستكلمينني ثانية لو اتصلت بك؟

- ربما فعلت.

فكر في ما سمع للحظات وإذا بقسماته تتحجر في وجهه من التركيز. راقبته نيكول غير قادرة على اخفاء الابتسامة.. إنها لا تكذب حقاً، ولقد فاجأته على حين غرة هذه المرة.

قال أخيراً ببساطة:

- لم يتبادر هذا إلى ذهني. بدوت لي غاضبة جداً تلك الليلة، ومتباعدة حين تحدثنا ثانية منذ أسابيع... وكما قلت لك إنني لست جيداً في مثل هذه الأمور.

- لكنك الآن تقوم بعمل جيد.

ارتدَّ في كرسيه لينظر إليها، وكأنه يفكّر في هذا الانقلاب المفاجيء ثم قال:

- لكن، إذا كنت جادة...

- أنا جادة.

- حسناً.. اقبلي دعوتي إلى العشاء.

- متى؟

- الليلة.

ضحكت:

- لا أستطيع الليلة.. فأنا طالبة الآن ولدي بعض الأبحاث.

- متى اذن؟

- ما رأيك بمساء السبت؟

- عظيم.. متى؟

- لا يهمني.. قرر أنت الوقت.

ـ السابعة اذن.

ووقف.. فقالت:

ـ مهلك لحظة.. أنت لا تعرف مكان سكني.

فابتسم.

ـ بلى.. أعرف.

ثم ابتعد.

قال لها مساء السبت:

ـ ليت الطعام في هذا المكان يعجبك.. نعم لا أنكر أن هذا المطعم ليس بالضخم كبعض مطاعم لندن.. لكنني أتناول الطعام فيه لأنه يعجبني.

ـ سأخبرك رأيي بعد الأكل.. فأنت لا تعرف كم بت أتذوق الطعام بعد أن تحررت من احتساب كل وحدة حرارية في الطعام.

كانت دهشة لأنه اختار هذا المطعم الصغير القابع في ضاحية كاولي على نهر التايمز.. توقعت أن يأخذها إلى نسخة أخرى من نادي «اوستاس» ذي المحيط الفاخر، والآنية الخزفية والكريستالية والفضية...

قاطع أفكارها بسؤالها:

ـ أتودين البدء بشراب؟

ـ أجل.. أرجوك.. عصير بارد سيكون رائعاً الآن.

ـ لقد تخليت حقاً عن صورتك القديمة إلى حد كبير، أليس كذلك؟

ـ هذا صحيح. إن أصدقائي القدامى لا يكادون يتعرفون إلي في الشارع.

تلك الأمسية أحست للحظة باندفاع لاخراج أحد فساتينها المتألقة، ولاستخدام ما تيسر لها من زينة.. لكنها في النهاية اختارت فستاناً جميل التفصيل أسود اللون. إنها جادة فعلاً بالنسبة لحياتها الجديدة.. ولو أن إليوت هانتلي كان منجذباً إلى مظهرها المتألق فسيصاب بخيبة أمل.

مع أنها لم تعد تعتبره قبيحاً، كما كانت، إلا أنها كانت تجد أن منظره المتحجر، القاسي، يتغلب على ذوقها. لكنه حين نظر إليها ثانية، كان فمه يبتسم ابتسامة صغيرة.

ـ هل قررت ماذا ستأكلين؟

ـ أي شيء، فكما قلت لك، لقد تخليت عن تحفظاتي القديمة بشأن الطعام، وكأنني أنتقم لحرماني بأية طريقة ممكنة.

فاتسعت ابتسامته:

ـ هل هذا هو السبب في تغيير مظهرك أيضاً؟

ـ وهل خاب أملك؟.

ـ خاب أملي؟ لا.. بالطبع.. إن مظهرك هذا يعجبني كثيراً، بل أجدك فيه أقل نفوراً.

فضحكت بصوت مرتفع.

ـ أنا؟ أبعث النفور في نفسك؟

ـ حسناً.. فلأقل اذن متحفظة، إلى درجة جعلتني لا أستطيع الاقتراب منك.. أما الآن فتبدين بشرية أكثر.

أوشكت أن تسأله ماذا يعني بقوله هذا، لكن صوت أحدهم الذي راح يناديها منعها عن ذلك. رفعت رأسها دهشة لدى رؤيتها دون اندرسون يتقدم نحوها مبتسماً ابتسامة كبيرة:

ـ نيكول... حبيبتي.

ـ مرحباً دون.. كيف حالك؟.

وتلاشت الابتسامة فوراً عن وجهه عندما لاحظ تقطيبة هنتلي، وحلت محلها نظرة تقرب من الذعر فكان أن سارع إلى سحب ذراعه عن كتفي نيكول وكأن حراً متوهجاً قد لامسه.

ـ سيد هنتلي... سيدي... لم أكن أعلم.. أعني.. أنني.

هز أليوت رأسه مجيباً باقتضاب:

ـ أهلاً أندرسون.

أدار دون عينيه إلى نيكول:

ـ حسناً. أعتقد أنني سأذهب في حال سبيلي. كنت عائداً إلى لندن وتوقفت هنا لتناول الطعام.. سعيد برؤيتك نيكول.. تبدين عظيمة، اتصلي بي يوماً.

ابتعد متراجعاً إلى الخلف، ثم بعد مسافة معقولة ارتد على عقبيه واتجه إلى طرف الغرفة البعيد ليجلس في مقعد قرب الباب بحيث يتمكن كما فكرت نيكول، من الهرب بسرعة.

نظرت إلى هنتلي الذي ما يزال عابساً.. فأصابتها القشعريرة. كيف ستحس لو أن هذه النظرة موجهة لها؟ ثم فكرت مرة أخرى: من هو ليرعب دون المسكين؟

سألته بلطف:

ـ لماذا أنت غاضب؟ دون غير مؤذي.

تلاشى عبوسه فوراً، لكنه بدا أنه يقاوم بشدة للسيطرة على مشاعره.. وقال:

ـ لا أحب الرجال الذين يمدون أيديهم على النساء.

ـ لم يمد يده.. إنها طريقته في التحية. وهذه طبيعة المخرجين في كل أنحاء العالم.. اسمع.. دون صديق عزيز عليّ. وكان لطيفاً معي وطيباً.. وأكره أن يعتقد أننا ننوي معاقبته.. او الانتقام منه لأنه أظهر بعض المحبة.

صمت قليلاً ثم قال متصلباً:

ـ آسف. لم يكن من حقي التدخل فليس لي شأن بحياتك أو بعلاقاتك.

ـ دون ليس إلا صديق، أضف إلى ذلك أنه متزوج وسعيد مع المرأة التي تزوجها منذ عشرين سنة على الأقل.

أرادت أن تقول له، إنه لا يحق له ادخال الرعب في قلوب الناس هكذا لكن شيئاً ما في وجهه حذرها من تجاوز حدها. فالرجل بنى حول نفسه جداراً فولاذياً، وشعورها يقول بأن محاولة اختراقه ليست عقيمة فحسب بل قد تكون خطرة.

بالنسبة لها.. هذه السهرة انتهت وفسدت، حتى قبل أن تبدأ.

* * *

٦ ـ لا للحب

راح الصمت المتوتر بينهما يتفاقم مع كل لحظة، حتى أحست نيكول بالراحة حين انتهى الطعام وأشار هنتلي الى الساقية لتحضر له الفاتورة.

ـ جاهزة للذهاب؟

قردّت باختصار:

ـ اجل.

بينما كان يدفع الفاتورة على الصندوق، تمشت بضعة خطوات.. ماذا سيفعل حين يصبحان في السيارة وحدهما؟ انه ضخم! قوي! فكيف لها مقاومته لو لعب الهوى برأسه؟ فكرت في تركه هنا والذهاب الى المنزل وحدها... لكن شيئاً ما منعها عن هذا.

كان الظلام شديداً في الخارج، لكن الهواء ما يزال ساخناً من حرارة شمس الصيف التي سطعت فوق الشوارع طوال النهار. التفت إليها:

ـ إنها ليلة جميلة.. وما زال الوقت باكراً. هل نتمشى قليلاً؟

ترددت لأنها ما برحت تشعر بالانزعاج من الطريقة التي جمّد بها دون. وأجابت أخيراً.

ـ لا بأس.. بعض الوقت.

تنزها معاً على ضفاف النهر بصمت.. هو على قيد خطوة منها، كان يسير ببطء ليماشي خطواتها وضعاً يديه في جيبي سرواله ونظرة تأمل واستغراق في التفكير تلوح على قسماته الخشنة، فجأة، توقف ونظر اليها:

ـ أترغبين في بعض الحلوى؟

كانا قد وصلا الى محل شعبي تباع فيه الحلوى والقهوة التي انبعثت رائحتها الطازجة فالتفتت اليه:

ـ ربما فنجان قهوة.

دخلا ليجلسا في غرفة خلفية، دون أن يتحدث إليها وحين قدمت القهوة لهما راحت تنظر بصمت الى البخار المتصاعد من الفنجان.

وأخيراً تكلم ففوجئت بصوته خفيفاً أكثر من العادة.

ـ اعرف انك منزعجة نيكول. لكن قبل ان تتسرعي بالحكم علي... سأخبرك بعض الامور عن نفسي... أعرف تماماً أنني لست ذلك البطل الرومانسي لأية امرأة.. ولا أعني مظهري الجسدي الذي تؤكد لي مرآتي أنه بعيد عن الجمال.. بل اتحدث الآن عن طباعي.

وضعت نيكول الفنجان من يدها على الطاولة:

ـ لست واثقة مما تعني.. فالشائعات تقول انه لا تنقصك الرفقة النسائية.

ـ اوه.. ثمة نساء يتشوقن للظهور برفقتي بل للذهاب الى اقصى حد ممكن.. فالسلطة مثيرة، والنساء مخلوقات فضوليات بطبعهن.. لديهن حاسة سادسة تجعلهن يرفضن بسرعة الفقر العاطفي.

ـ ولماذا تبوح لي بهذا كله؟

ـ لانك تعجبينني يا نيكول. . أحب أن أكون معك، وأعترف بأن انجذابي إليك كان جسدياً أصلاً وكنت قد حكمت عليك. . لكن ما أن أدركت أنك لست كالآخريات وانك لا تُشترين ولا تريدين اي شيء مني، حتى تغيرت مشاعري، وها انا الآن معجب بك لأنك تخليت عن عمل ناجح ووهبت نفسك لعمل غير اناني بل لعمل مليء بالمعاني الإنسانية. وبكل بساطة، احب أن اواظب على رؤيتك هذا اذا سمحت لي.

رغم بقاء شيء من عدم الثقة في نفسها، تأثرت نيكول بحديثه الصريح، كيف لها ان تقاومه؟ ها هو أحد اكثر رجال المال قوة ونفوذا، يذل نفسه إليها مرة اخرى. ومع ذلك لم تصدق، لا. . . فليس لرجل لا يهمه في الحياة الا السلطة أن يتواضع هكذا. من الواضح أن هناك نقطة ضعف في دفاعاته، لكنه لا يتركها مكشوفة أمامها حتى لا تسبر أغوار «الرجل» الحقيقي.

سألها وهو ينفث دخان سيكاره الرفيع:

ـ حسناً. . . متى ينتهي تدريبك؟ أتظنين انك ستنجحين؟

ـ بالتأكيد هذا ما اتمناه بعد هذا العمل الشاق كله.

ـ لن تبدأي بمزاولة المهنة الجديدة قبل أيلول؟

ـ هذا صحيح.

ـ لكن الدروس ستنتهي قبل أسابيع من الموعد الذي ذكرته. فماذا ستفعلين خلال هذا الوقت؟

ـ اوه. . . سأستريح. جيري دعا شلة من الاصدقاء لقضاء بعض الوقت في منزله القائم على شاطىء سوانسي.

سرعان ما اكفهرّ وجهه، فسحب نفساً عميقاً من سيكاره، ثم

نفض الرماد في المنفضة امامه. . . لكنه حين تكلم بدا متزناً. . . وهو يقول بهدوء:

ـ إنها عطلة رائعة لك.

ـ لم اقرر بعد قبولها. لقد شغلتني الجامعة جداً حتى اهملت كل ما عداها. . . شقتي في لندن بحاجة الى تنظيف وترتيب مثلاً، ثم حين ابدأ العمل، اريد تركيز اهتمامي على عملي.

ـ انت حقاً تنتظرين بشوق عملك؟

ـ اجل. . من المهم سبر أغوار هؤلاء المسحوقين اجتماعياً لإضاءة طريق المستقبل لهم، مظهرين لهم أن هناك حياة افضل من التعفن في الأزقة، او الانقلاب الى المخدرات والجريمة. بعضهم لامع الذكاء، وليس هناك ما يحتاجونه إلا مساعدتهم لإظهار هذا الذكاء.

استمرت تخوض في هذا المضمار نصف ساعة. كان من وقت لآخر يطرح عليها سؤالاً، بجدية وتفكير، وكأنه فعلاً مهتم. حين صمتت، نظرت اليه بإحراج قائلة:

ـ لقد تركتني أثرثر دون خجل، ولا بد أن هذا اضجرك.

ـ لا. . . فبرنامج مساعدة المحرومين كان على رأس سلم الاولويات في مشاريع مؤسستي وذلك منذ وقوفها على قدميها. ولا استطيع التفكير بما هو أكثر إلحاحاً من مساعدة الاولاد والشبان لاطلاق ما فيهم من امكانيات.

بينما كان يتكلم، ارتفع صوته تدريجياً حتى احست نيكول بالمشاعر الكامنة في كلماته. . . للمرة الاولى تحس بمشاعر حقيقية عنده. قالت بهدوء:

ـ يبدو وكأن لك اهتماماً خاصاً بمثل هؤلاء الاولاد.

تضرّج وجهه قليلاً، قبل أن ينظر الى طرف سيكاره الملتهب. رفع رأسه ونظر الى البعيد، وتقطيبة عميقة تعلو جبينه، ممزوجة بألم قديم يلاحقه. وقال اخيراً:

ـ اجل... هذا صحيح في الواقع.. لكنني لا اتكلم عن الامر كثيراً، فهو من الماضي. ولا جدوى من استرجاع ذكريات تعسة.

اختارت كلماتها بدقة قبل ان تسأل:

ـ حين تحدثت إليك يوماً عن رغبتي في العمل في مضمار مؤسسة اجتماعية تعنى بأولئك المحرومين قلت لي إنك انت كنت منهم. فماذا عنيت بقولك ذاك؟

ـ انها قصة طويلة، ولقد اضجرتك بما فيه الكفاية الليلة. اذا أردت الاستمرار في رؤيتي، فلندّخر بعض الكلام الى أوقات أخرى.

ها قد عاد الى قوقعته، وأعاد القناع الى مكانه بحزم ودقة. لكن نقطة الضعف في دفاعاته ازداد شرخها، ولن تخسر شيئاً من ابقائها مكشوفة. واذا كانت حقاً تنوي الاستمرار في رؤيته، فعليها ان تندفع متجاوزة كل تحفظاته، كي تفهمه اكثر... والمفتاح الى شخصيته لا شك في ماضيه.

اجابت بهدوء:

ـ لكنني أود سماع شيئاً عنها الليلة.

أطفأ سيكاره، ينظر الى شظايا التبغ وهي تظهر باختفاء النار، ثم نظر اليها، وقال:

ـ حسناً... اذا كنت مصرّة. كل ما في الأمر انني كنت أحد أولئك الأطفال المتروكين على عتبة ميتم، في قلب لندن... الراهبات الطيبات كفلنني وأنشأني... وسأبقى ممتناً لهن الى

الأبد.

ـ وماذا حدث بعد ذلك؟

ـ لا شيء... تبين لي فيما بعد أن احداً لم يقبل بأن يتبناني.. اذ كنت عليلاً وحين تحسنت صحتي في السادسة أو السابعة من عمري، ما عادوا يرضون بي لأن الناس يرغبون في اطفال لطفاء، لا بأجلاف حمقى.

حين فتحت فمها لتتكلم رفع يده في الهواء:

ـ هذا كله أصبح في طي ماضٍ قديم. الدرس الذي تعلمته من تجربتي، أن الشيء المهم هو الحاضر، وكما قال احدهم مرة: الماضي هو صك ملغى، والمستقبل فاتورة لم تدفع بعد، اما اليوم فهو نقدي.

ـ أعتقد أن هذه نظرية أن تعيش يومك بيومك. ومع ذلك أظن أن علينا التخطيط قليلاً للمستقبل.

تاقت الى أن تسأله عن السبيل الذي بنى فيه نفسه.. عن تلك البداية المهزوزة التي اصبحت نجاحاً هائلاً... لكن بدا لها ان الموضوع مقفل عند هذا الحد، ومن الافضل ألا تعلق على ما قاله... انهى ارتشاف قهوته وقال:

ـ انذهب؟

في الشارع، نادى سيارة، أقلتهما الى مسكنها، جلست نيكول قربه في السيارة جامدة، تحس بالمسافة الضيقة التي تفصلهما في المقعد. وتساءلت في نفسها عن المستقبل، وكيف ستتعامل مع الآتي. لقد كشف أمامها الليلة نفسه كثيراً وهذا ما أرضى غرورها.. لكن ماذا يتوقع منها في المقابل؟ ترى هل سيعود الى تصرفات رجل الكهف التي تصرفها معها سابقاً؟ وإن هاجمها فماذا

تفعل؟

بين الآونة والأخرى، كانت ترمق وجهه الجانبي القوي، المنعكس امامها تجاه انوار المدينة... فجأة احست بصدمة، فيا له من رجل حذاب! خاصة في أوقات استرخائه. ويا لجو الثقة والصلابة الذي يروق لشيء ما في اعماق طبيعتها الانثوية..

أمام مبنى شقتها انتفضت حين نقد سائق السيارة أجرته وصرفه... أيحسب نفسه ممضياً ليلته معها؟ لكنه وبينما كانا يسيران معاً باتجاه الباب، قال لها انه يقيم في فندق قريب وانه سيتوجه الى هناك سيراً على الاقدام.

حين وصلا الى المدخل، لوت قدمها لاصطدامها بممسحة الارجل المطاطية امام الباب.. وإذا به يسارع الى إمساك ذراعها، ليدعمها.

لم يكن لامسها طوال الامسية، وها هي تشعر بأصابعه الدافئة تحرق لحمها... وفي الوقت نفسه، سرت قشعريرة باردة في جسدها.. فاستوت في وقفتها، وتحركت مبتعدة عنه، فتركها على الفور... قالت متوترة:

ـ أرأيت كم انا خرقاء؟ لم أعد استطيع السير حتى.

في الداخل، رفع حارس المبنى نظره إليهما ثم عاد الى قراءة كتابه.. راحت نيكول أثناء ارتقاء الدرج تبحث في حقيبتها عن المفتاح، تحس بارتباك كامل، وبحيرة. حين وصلا الى شقتها سارا بصمت عبر الممر حتى الباب، الذي وضعت فيه المفتاح، ثم نظرت اليه:

ـ شكراً لك اليوت، هذا العشاء اللذيذ.

ـ إن ذلك لمن دواعي سعادتي.. وشكراً لك نيكول لانك

صبرت على وجودي واستمعت اليّ فرغم ما حدث مع اندرسون، تمتعت بالسهرة كثيراً.

انتظرت لحظة، لكنه بقي واقفاً قربها، دون أن يتحرك للذهاب. فادارت المفتاح وفتحت الباب... ولم يقل شيئاً. لم تعرف ماذا تفعل... ايتوقع منها ان تدعوه للدخول؟ مدت يدها داخل الباب لتضيء النور، فسألها وهو يتطلع من فوق كتفها:

ـ أكل شيء على ما يرام؟

ـ اجل... والحراسة جيدة هنا.

تردد لحظات، ثم قال:

ـ هل اتصل بك ثانية؟

دون تفكير قالت:

ـ اجل... سأحب هذا.

ابتسم ببطء، ثم مد يديه ووضعهما على كتفيها وحين لم تقاوم، انسلت يداه الى خصرها واحتواها بين ذراعيه يجذبها إليه ويلصقها به. عرفت أنها ترغب في عناقه، بل كانت تترقبه منذ ركبا سيارة الأجرة.

لم يكن في عناقه الحاح بل رقة. لذا تخلت عن تحفظاتها عليه وبادلته التجاوب، فهذه المرة لم تكن كالمرة الاولى التي احتضنها فيها يوم الحفلة. الآن نعومته الحلوة، ضغطه الخفيف، خلقا فيها احاسيس من الدفء والسعادة... استطاعت في غمرتها ان تشمّ رائحة التبغ الخفيفة العابقة في ملابسه، والممتزجة مع عطر ما بعد الحلاقة. وحين تحركت يداه، دون الحاح كذلك، وكأنه يبذل جهداً كي يبقى مسيطراً على نفسه حتى لا يرعبها، ذابت على صدره القوي، تظن انها لا تريد لهذا العناق ان ينتهي أبداً.

مع انه كان يبذل قصارى جهده لكبح مشاعره، إلا أن التوتر كان ظاهراً في أنفاسه المتهدجة السريعة على وجنتها وفي ضغط اصابعه على ظهرها، وفي ارتجاف جسده الخفيف بين ذراعيها... احست بهذا كله، بقوة.. ثم لم يلبث أن مد يديه الى كتفيها العاريتين في ثوب السهرة، فلمّا انتفضت رد يديه الى ظهرها، كأنه يحس برفضها، ثم ابعد رأسه عنها، لكنه وضع ذقنه على رأسها لحظات قبل أن يتراجع مسبلاً يديه الى جانبيه.

قال بخشونة:

ـ تصبحين على خير.. سأتصل بك قريباً.

وارتد عنها مبتعداً تاركاً إياها واقفة تنظر اليه، وهو يعود أدراجه ببطء ثابت.. ما ان دخلت شقتها.. حتى احست بأن احداث الليلة اخذت منحى الحلم... هل حدث هذا كله فعلاً؟ لكن بعيداً عن وجوده الجذاب المغناطيسي المقلق، بدأت تشك في حكمة رؤيته ثانية.

دخلت ببطء غرفة نومها تفك فستانها. أثناء سيرها، خلعته وعلقته بعناية في الخزانة ثم دخلت الحمام استعداداً للنوم...

الوقت ما زال باكراً فالساعة لم تتجاوز العاشرة بعد، لكن الامسية كانت مرهقة عاطفياً.

حسناً... كل ما قالته له، أن بامكانه الاتصال بها... وهذا يعني أن لا شيء يجبرها على قبول دعوة أخرى منه... ذلك العناق في الردهة.. الم يكن فيه عاطفة حقيقية؟

أحست بخطر في ذلك الرجل أو بمشاكل قد يسببها، وليست بحاجة اليها، خاصة الآن، وهي تكاد تنطلق في حياتها الجديدة،

لا... لن أراه ثانية.. اطفأت النور واندست بين الاغطية.

كان اليوم التالي يوم احد.. لا كلية اليوم. وتأخرت نيكول في الاستيقاظ... استحمت ثم دخلت المطبخ لتعد الفطور والقهوة، حين رن جرس الهاتف في الردهة الصغيرة. انتفضت وتسمرت في مكانها، ملعقة البن في يد وابريق الماء المغلي في يد اخرى... انه هو دون شك.

حسناً.. لقد اتخذت قرارها ليلة امس... الم تتخذه؟ وضعت الابريق من يدها وخرجت من غرفة الجلوس الى حيث الهاتف... هذا افضل... ستنتهي من كل شيء... رفض مؤدب، قبل ان تلين عزيمتها.

لكن المتحدث لم يكن هنتلي. ما ان قالت «آلو» حتى جاءها صوت ليونا هولت:

ـ حسناً ألست انت الخبيثة!

تنهدت نيكول:

ـ الوقت مبكر جداً على الالغاز ليونا. عمَّ تتحدثين؟

ـ اوه... هيا الآن. تعرفين ما اقول... اتصل بي دون ليلة امس وقال انه شاهدك تتناولين العشاء بصحبة اليوت هنتلي.. إن دون ما يزال يشعر بالالم من مقابلته، ويريد أن يعرف ما اذا كان من واجبه ان يتصل به ويعتذر، مع انه لا يعرف عمّاذا يعتذر.. المسكين، لا شك ان هنتلي اعطاه ذلك العلاج الصامت المشهور به...

وضحكت ثم أردفت:

ـ والآن.. يجب أن أقول، انني دهشة منك نيكول.

ـ ليونا.. رويدك، أرجوك؟ لا افهم بالضبط ما تعنين بهذا؟

ـ حسناً.. أولاً: كنت أظنك تكرهين الرجل، ثانياً: لم اكن لاظن أبداً أنني سأرى اليوم الذي ستسمحين بزج نفسك في موقف كهذا.

شدت نيكول على فكها والغضب يتصاعد داخلها، وقالت بخشونة:

ـ وما هو ذلك الموقف بالضبط ليونا؟

ـ تعرفين.. لهنتلي سمعته.

قالت لها نيكول بعصبية:

ـ اصغي الي ليونا هولت... لست ادري ما القصة التي نسجتها أنت ودون اندرسون... لكنني اقول الآن بان لا شيء بيننا أبداً لا شيء بيني وبين اليوت هنتلي... فاما ان تصدقي، واما...

قاطعتها ليونا:

ـ هاي. رويدك قليلاً.. انا آسفة.. حين اخبرتني دون انه شاهدكما معاً اعتقدت أن بينكما... تعلمين ماذا... شيئاً من التفاهم... وأنا آسفة نيكول لغضبك.

ـ حسناً. صدقيني، لا داعي إلى أن تسيئي الظن. التقيته الاسبوع الماضي في الكلية، حيث طلب مني قبول دعوة للعشاء. وقبلت دعوته باندفاع، دون أن يكون لها خلفية، فلا تفاهم ولا ما شابه، كما قلت بدبلوماسية.. بل لن أراه ثانية.

ـ هل غازلك؟

ـ لا.. لم يفعل.. لقد كان سيداً مهذباً طوال السهرة.

ـ رغم ذلك لن تقابليه ثانية.

ـ لا.. لن أقابله.

ـ ولماذا بالله عليك؟ أتدركين أنه يعتبر غنيمة؟ أتعرفين ما مدى

قوته؟ ماله؟ ونفوذه؟ أعرف على الاقل عشرين امرأة على استعداد إلى أن يقفزن دون وعي لاغتنام فرصة ظهورهن معه علناً.

ـ حسناً... لست إحداهن. لدي مستقبلي، وما من رجل، خاصة اليوت هنتلي، قادر على تغيير خططي.

تنهدت ليونا بحرارة:

ـ اعتقد أن عليّ إبداء الاعجاب بروحك المستقلة هذه، لكنني أعتقد انك تفوتين على نفسك فرصة جيدة.

ـ ربما.. لكنني قررت... فإذا كان هذا كل ما تريدين قوله الآن...

قاطعتها ليونا بلهجة متألمة:

ـ لا... في الواقع لم اسمع اخبارك منذ اسابيع، وكنت اتساءل كيف هو تدريبك في الكلية؟

ضحكت نيكول مضطرة بسبب لهجة ليونا الحزينة:

ـ إن أموري تسير بشكل رائع.. ورداً على سؤالك الخفي: لا اشعر بالشوق لمهنة التمثيل، ولن أعود إليها.

يوم الاثنين، بعد محاضرة الصباح، جلست نيكول وآغني كعادتهما على شرفة الكافتيريا في مركز اتحاد الطلبة، تحتسيان القهوة، محنيتي الهامة تراجعان مذكراتهما، وتناقشان آخر محاضرة.

فجأة استوت آغني في جلستها وقالت بعفوية:

ـ هاي... لم تحدثيني عن موعدك الكبير ليلة السبت... كيف جرى؟

كانت نيكول قد سمحت لنفسها بتهور ذكر الدعوة التي تلقتها من اليوت هنتلي امام اغني.. وها هي نقطة ضعفها تطاردها...

بالامس ليونا... واليوم اغني... فاجابتها بعفوية مماثلة:

ـ اوه... انه ليس موعداً في الواقع، فهو من معارفي السابقين.

ـ قولي له هذا!

ـ ماذا تعنين؟

ـ اوه.. لا شيء.. إلا انني لا املك زوجاً، وثلاثة اشقاء، وجمهرة من أبناء الأعمام والأخوال، دون فائدة، أعرف تلك النظرة في عيني الرجل حين اراها.

ضحكت نيكول:

ـ حسناً... ظننته مرة مهتماً بي، لكن الشعور لم يكن متبادلاً... وها نحن الآن صديقين ليس إلا. بل فلنقل إنه أثرى من أن يناسبني.

ـ نعم هو ليس بجمال تمثال اغريقي.. لكن المال يغطي الجاذبية، ورأيي، انه رائع.

ـ قيل لي إن لأصحاب النفوذ تأثيراً على بعض النساء.

نظرت مباشرة الى عيني آغني، وانفجرتا معاً بالضحك. وتابعت نيكول:

ـ على كل الاحوال، الامر لا يهم. اليوت هنتلي قطعا ليس من طرازي.. أضيفي الى ذلك عدم رغبتي في إفساد حياتي بالحب في هذه المرحلة، فكل ما اريده حقاً، أن انهي تدريبي هنا دون الحاق الخزي بنفسي.

ردت اغني بثقة:

ـ ستغيرين رأيك يوماً... فكل امرأة بحاجة لرجل تحبه... وهذا ليس بشيء طبيعي فحسب في الحياة بل أكثر من ذلك... ألم تحبي أو تقتربي من هذه المرحلة؟

ـ اية مرحلة؟ الزواج؟

هزت اغني رأسها، ففكرت نيكول قليلاً:

ـ لا.. الرد هو لا قطعاً. كان ثمة رجل، تعرفت إليه في بدء دراستي الجامعية، لكن مضى علي ذلك زمناً بعيداً. فمنذ ذلك الوقت وانا مشغولة بعملي. أحياناً افكر في انني أهدرت عمري حتى الآن وأنا أرد غزل الرجال عني.

ـ كل الرجال؟

ـ حسناً ربما في هذا مبالغة.. لكن احياناً يبدو لي هذا حقيقة. حتى مع بطلك اليوت هنتلي.

حين فاهت بهذا، ادركت انها غير منصفة.. فملاحقة الرجل الأزلية للمرأة، تغيّرت مع الزمن. فهو لم يطبق عليها عند اول فرصة، ولا أظهرها علناً، وكان يعني ما يقول حين اخبرها انه معجب بها، وانه يحترم ما هو تحت واجهتها.

في الايام القليلة التالية، حاولت نيكول جاهدة، ان تجعل الحديث الذي جرى بينها وبين ليونا واغني، عن اليوت هنتلي، بعيداً عن ذهنها، فتدريبها تزايدت أبحاثه مع الوقت، وكان عليها أن تقضي ساعات في الدراسة لتكمل المسيرة.

حفظت ما ستقوله له عن ظهر قلب. إنها لا تريد ان تجرح مشاعره برفضها إياه، لكن يجب أن تدعه يفهم انها تعني حقاً ما تقول حين تخبره انها لا تريد رؤيته ثانية.

حين مرّ أسبوع دون ان تعرف عنه شيئاً. راحت افكارها تتأرجح جيئة وذهاباً ما بين السخط والفضول.. ماذا حدث له؟ اهو مريض؟ في المستشفى؟ أو مات؟ اخذت تفتش في باب الاعمال في الصحف اليومية عن كلمة منشورة عنه... بل لقد فكرت في ان

تسعى إلى أحد العاملين في إدارة الكلية لتستخلص منه معلومات. وكانت على وشك الاستسلام حين اتصل اخيراً. عندما رن جرس الهاتف كانت قد انهت لتوها بحثاً هاماً، وباتت مترددة بين ان تعد القهوة او تعود الى القراءة أو تأوي إلى الفراش.

الساعة العاشرة تقريباً. فمن هو المتصل يا ترى؟ نهضت عن طاولتها، تمددت بكسل، وتوجهت الى الردهة حيث الهاتف.

ـ آلو؟

ـ نيكول.. انا اليوت هنتلي.

ـ مرحبا اليوت.

ـ اعتذر على اتصالي المتأخر هذا. كنت في نيويورك أقوم بعمل هام خلال الاسبوع الماضي... وصلت اليوم، وحين حاولت الاتصال بك باكراً لم اجد رداً منك.

ـ كنت في الخارج طوال النهار، فعلي إنهاء بعض الأبحاث، كما تعلم، لذا أمضيت الظهيرة في مكتبة الجامعة.

ـ وكيف تجري الأمور؟ تبدين خائفة.

ـ يجهدني هذا النوع من الأبحاث. وكيف هي نيويورك؟

ـ لست ادري، إذ قضيت معظم أوقاتي مع مندوبنا في مكتبه. اعتقد ان السماء امطرت كثيراً.

لا بد انه يتصل لانه وعدها بأن يتصل، وهو رجل يحترم كلمته. لكن ما ادهش نيكول ان هذه الفكرة أحبطت عزيمتها... وقالت:

ـ حسناً...

في اللحظة نفسها انطلق يقول:

ـ سبب اتصالي هو معرفة ما إذا كنت تقبلين دعوتي للعشاء ثانية مساء السبت.

كتمت تنهيدة ارتياح داخلية وقالت دون وعي:

ـ اجل... سأحب هذا.

ـ جيد.. سأصطحبك في السابعة... أيناسبك هذا؟

ـ اجل... سأراك حينذاك.

حين اقفلا الخط، وقفت نيكول وقتاً طويلاً دون حراك. يدها جامدة فوق السماعة تحدق في الفراغ، مذعورة مما فعلته لتوها. لكنها اخيراً هزت نفسها، وعادت الى المطبخ... فهي الآن بحاجة الى فنجان قهوة.

تمتمت لنفسها وهي سائرة:

ـ لماذا فعلت هذا بحق الله؟

توقفت عند باب المطبخ وصاحت بصوت مرتفع:

ـ لانني اريد هذا... هذا هو السبب!

لقد اشتاقت اليه! اخيراً فهمت السبب. لقد اشتاقت اليه فعلاً. فهذا الرجل رغم إرادتها وتعقلها شق طريقاً دافئاً الى حياتها... لماذا؟ وكيف حدث ذلك؟

هل هو دافع الشفقة؟ لا.. كيف يمكن ان يكون شفقة؟ فللرجل كل ما يحتاجه. ومع ذلك كان يبدو لها وحيداً... بعيداً عن العلاقات الانسانية. دون شك بحاجة الى صديق... اهذا كل شيء؟ اترك الامر على هذا المستوى؟ بطريقة ما لم تستطع تصوره يتوقف قبل أن يحصل على ما يريد.

حين انتهت من إعداد القهوة صبت لنفسها فنجان وجلست على الطاولة في المطبخ ترتشفها ببطء. كانت افكارها وعواطفها، ما تزال جياشة... حين انتهت.. غسلت الفنجان ووضعته على رف المغسلة مقلوباً ليجف.

كانت الفكرة المهمة التي تبادرت إليها في هذه اللحظة العودة الى طاولتها لتكمل القراءة، لكن خشيت أن تعجز عن ذلك إذ لا شك لن تستطيع التركيز على أمر اخر عدا أليوت.

* * *

٧ ـ جدران بيننا

كان العشاء مساء السبت تقريباً نسخة أخرى عن العشاء السابق الا انه هذه المرة اصطحبها الى مطعم صيني انيق باهظ الكلفة حيث جلسا على وسائد أمام طاولة منخفضة، وتناولا طبقا إثر طبق من الأطعمة الشرقية المكونة من الأرز والخضراوات وتحدثا براحة عن أبحاثها وعن عمله في جو محاط بالطبقة الراقية.

اقترابها من الاثرياء والمشاهير لم يرعبها اذ كانت معتادة على التواجد في أمكان كهذه في الأيام الخوالي حتى اعتادته.

لكنها تغيرت كثيراً منذ ذلك الوقت فخلال اشهر عدة تغيرت حتى باتت تشعر بأنها غريبة قادمة من كوكب آخر يعتبر هو العالم الحقيقي.

لم يزعج اليوت شيئاً فقد كان رابط الجنان كعادته، يتصرف في محيطه المعتاد، بأسلوب السيد... يرد بادب، لكن ببرود، على تحية الناس التواقين لادعاء معرفته ومعرفتها. كان يتلقى اهتمام السقاة الدؤوب، وكأن هذا واجبهم نحوه.

تمتعت نيكول بهذه التجربة، بقدر تمتعها بصحبته، هذاالى ان اوشك العشاء على الانتهاء فقد قفز رجل في ثياب سهرة سوقية على حين غرة ووقف امامهما ثم التقط لهما صورة.

اغشاها الضوء الباهر، لكنها حين استطاعت التركيز ثانية تعرفت

الى وجه المراسل الصحفي الذي يكتب في باب المجتمع في إحدى الصحف اليومية الصغيرة. كان يقف على بعد ثلاثة امتار تقريباً عنهما، دفتره في يده والكاميرا معلقة على كتفه.

ـ مرحباً نيكول.. مرحباً سيد هنتلي.

ثم حياهما باقتضاب وتحرك باحثاً عن صيد جديد.

كانت نيكول خلال هذا الوقت تحاول الوقوف لتجري خلفه محتجة على انتهاكه خصوصياتها، لكنها أدركت أن الامر لن يجدي نفعاً، فعادت تغرق في الوسائد تشتمه فسألها هنتلي:

ـ ما الامر؟

ـ اوه.. ذلك الصحفي.. سينشر الصورة في صفحة المجتمع غداً.

ـ وإن يكن؟

ـ اوه.. انت تعلم.. سيظنون بنا أسوأ الظنون.

ـ انت.. لم افهمك.. ظننتك معتادة على مثل هذه الدعاية.

ـ اوه.. صحيح.. لكن ذلك حين كنت ممثلة.

ـ وما الفرق الآن؟

ـ لا يمكن ان تكون جاداً فهذا الصحفي الذي يعتبر سيد الشائعات سيشيع اخباراً ليس لها صلة بالواقع. صديقين حميمين مثلا.. ويجعلني أبدو امرأة تلازمك.

ـ ولماذا قد يفعل هذا؟

ـ اليوت! اين تفكيرك؟ ليزداد بيع صحيفته القذرة بالطبع! لقد حدث هذا لك من قبل... وقد شاهدت مثل هذه الصورة والمقال المرفق بها.. انت صيد ثمين! يسعى اليك امثاله بشكل دؤوب.

ـ انا لا أحب هذه الصحف.

ـ لكن الجميع يحبها!

تفرس فيها عن كثب، وسألها ببرود:

ـ ايزعجك هذا!

ـ طبعاً يزعجني! كيف سأبدو حين أبدأ بالعمل في المؤسسة؟ ما هي الصورة التي سأقدمها لتلاميذي الذين سأبحث أوضاعهم النفسية، إذا وصمت بأنني فتاة مجتمع لعوب؟

مسح يده وفمه بالمنديل، ورماه على الطاولة:

ـ حسناً.. سأهتم بالامر.

راقبته ببلادة تفكير وهو يتقدم ببطء نحو المراسل، الذي ليس ببعيد عنهما. ربت على كتفه فالتفت والبسمة ما تزال على شفتيه.. تحدث اليه هنتلي بضع كلمات مشيراً الى الكاميرا ودفتر الملاحظات.. وعندها بدأت بسمته تتلاشى عن وجهه ببطء، فلوح بدفتر في الهواء، يحتج على مطلب هنتلي المستحيل، كما يبدو. لكن حين لاحظ اشتداد قسوة اسارير اليوت، وجبهته التي اصبحت عاصفة، تراجع خطوة الى الوراء، والخوف الحقيقي في عينيه، وبدأ يحني رأسه بشدة.

بعد أن عاد اليوت الى مكانه وجلس بارتياح قال:

ـ كل شيء على ما يرام.. اتودين تناول الحلوى الآن؟ ام القهوة؟

ـ ماذا قلت له؟

ـ وهل يهم؟ أؤكد لك انه لن يذكر كلمة او صورة عنك او عنا في اية صحيفة. ألا يكفي هذا؟

استطاعت أن تتصور نوع التهديد الذي استخدمه لإفزاع ذلك المراسل.. فما يملك من امكانيات تخوله طرد هذا الرجل من عمله بل انه قادر على قلب ميزان الأمور فقد يحرم عليه دخول اي مطعم هنا أو في لندن..

وأحست بقشعريرة باردة تسري في جسدها لانها أدركت مدى

امتداد سلطة هذا الرجل.. هذه السلطة التي استخدمها منذ قليل من أجلها.

مرّت بقية الامسية دون حادث يذكر، وحين اوصلها الى المنزل، كرّر ما حدث في المرة الماضية... رافقها الى بابها، شكرها على الامسية الرائعة، وبعد عناق حار لطيف، تركها واقفة عند الباب... لكنها وبعد امسية كهذه كانت تتوق للاحساس بذراعيه حولها، وبضغط يديه عليها، وكانت مستعدة لفعل اي شيء تقريباً..

لكن ما أثار غيظها انه كان يحس بما تحس به فقد لاحظت خلال مرات عدة في السهرة ان نظرته مسمرة عليها. كان يسترق اليها النظرات حيث يظنها لا تراه.

كانت تعد نفسها طول الامسية الى تحرك ما الى الامام وقد تصورت ذراعيه تلفانها وتحتضنانها بل لقد فكرّت في أن تدعوه الى شقتها لكنها تعجبت من قدرته على السيطرة على ذاته ولعل سبب ذلك أنه ينتظر منها المبادرة او على الاقل، اطلاق دعوة مهذبة.

كانت ستفعل هذا، لولا تلك الحادثة في المطعم مع المراسل. فالسلطة التي مارسها كانت فعالة مؤثرة.. وقد حقق بها ما كانت تريد، دون ان يطرح سؤالا.. لكن، ماذا لو قرر أن يستخدم تلك القوة ضدها؟

ألم يبح لها بماضيه؟ لذا لا عجب في أنه جبل من جليد خال من المشاعر.

أحست بقلبها يذوب حزناً على ذاك الطفل الوحيد المرتبك الذي عاش ونما وهو موقن من انه غير محبوب... أيكون هذا هو المفتاح الحقيقي لشخصيته؟

بطريقة ما، يجب ان تجد طريقة لتظهر له ان هناك جانباً دافئاً في الحياة.. وانه يحمل امكانيات كافية في نفسه ولا حاجة له لشراء الحب.

بعد اسبوعين من هذا ، في يوم مشمس حار من ايام آب، كانت تجلس الى طاولة زينتها في شقتها في لندن، تستعد للذهاب للقاء أليوت.

كانا سيتناولان العشاء باكراً، واتفقا على ان تمر به في مكتبه وذلك حتى لا يتأخر عليها بسبب ازدحام السير الخانق.

في الاسبوعين الماضيين، كانت تقابله دائماً.. لكنها شعرت خلال هذه المدة بأن علاقتهما المستقرة يعوزها الحركة.. وقد تزايد الآن اكثر احساسها بخيبة الامل في كل مرة يتركها فيها، اذ كان يوصلها الى منزلها، ثم يعانقها عناقاً بسيطاً يتبعه بتحية سريعة مهذبة.. وهذا غير طبيعي.

كانت واثقة انه سيحاول استعجالها الى ما هو اعمق في اول فرصة سانحة له.. لكنها الان بدات تشك في جاذبيتها.. ورغم امتعاضها ذاك كانت تحس بالسعادة لانه لم يكن يعاملها كهدف جسدي فقط.

رغم محاولاتها الدؤوب لاقناع نفسها بأن وضعها هذا افضل، الا انها بقيت تشعر بخيبة الامل حتى تساءلت أخيراً أهذا الرجل قدّ من حجر. وإذا كان لا يجدها جذابة، لماذا يستمر في الاتصال بها؟

عندما عادت اليوم الى شقتها في لندن قررت ان تتهيأ خير تهيؤ فلم تذهب من قبل الى مكتبه، وهي تتوق الى الظهور بشكل لائق امام موظفيه. لكن لم تجد شيئاً مما جربته لائقاً الملابس التي تستخدمها حالياً كانت جداً بسيطة، وما لديها من تلك الثياب

الانيقة كان شديد التألق، والوقت متأخر للخروج وشراء شيء جديد. في النهاية اقرت الرأي على بذلة خفيفة من البوبلين لن تشعرها بالحر في هذا الشهر الشديد الحرارة والرطوبة.

كذلك، أرادت أن تقضي وقتاً في التبرج لكنها عادت فعدلت عن رأيها اذ لا فائدة من ذلك. وراحت تسائل نفسها عما تفعله فلماذا تتكبد هذا العذاب من أجل موعد عشاء بسيط . . . تحركت بنفاذ صبر ثم مشطت شعرها الذهبي الى الوراء وعقدته على شكل ذيل حصان، ثم وضعت رشة من البودرة، وصباغ شفاه فاتح اللون وتركت المنزل قبل ان تغير رأيها.

في الطريق الى قلب المدينة. . قاومت بحزم الاغراءات التي كانت تدفعها الى النظر في مرآتها الصغيرة حين توقفت سيارة الاجرة امام مبنى مرتفع في شارع البرج. . نزلت وتوجهت رأساً نحو المصاعد.

خرجت من المصعد في الطابق الخامس فوطئت على سجادة سميكة. تنفست عميقاً، ثم دفعت باباً ولجت منه الى منطقة الاستعلامات الكبيرة، المفروشة بسجاد يشبه السجاد الخارجي. كان هناك مقاعد وثيرة مصفوفة حول طاولة منخفضة زجاجية السطح، عليها مجلات ومنفضة سجائر كريستالية تخلو من اية لطخة. . وعلى الجدران عدة لوحات لمناظر طبيعية موضوعة في اطارات معدنية مزخرفة، وفي مؤخرتها طاولة أثرية رائعة من خشب الورد.

الجو كله يوحي بالثراء والهدوء. لم يكن هناك احد، فسارت نيكول ببطء على طول الغرفة باتجاه الطاولة الخشبية. حين وصلت سمعت أصواتاً تتصاعد من باب داخلي خلفها، وحين انفتح الباب

خرج اليوت منه. . تعتم وجهه تقطيبة ثقيلة لكنه ما ان شاهدها حتى اشرق على الفور.

قالت نيكول ترد الابتسامة:

ـ مرحباً، هل بكرت في المجيء؟

فتقدم نحوها:

ـ ابداً ليس لدي الا مسألة واحدة انهيها ثم نذهب.

تبعه رجل آخر الى غرفة الاستعلامات والاستقبال. . انه جون سوليڤان، مدير العلاقات العامة. . ما أن شاهدها، حتى تقدم نحوها يمد يديه قائلا بعجب:

ـ نيكول هانترز! ماذا تفعلين هنا بالله عليك؟

امسك بكلتا يديها، وتراجع الى الوراء، يمرر عينيه عليها:

ـ وماذا فعلت بنفسك؟ تبدين صارمة جداً.

سحبت يديها منه وارتدت خطوة.

ـ مرحبا جون. . . مسرورة لرؤيتك ثانية. واذا كنت ابدو صارمة كما تقول، فلأنني هجرت كل مظهر له علاقة بحياتي السابقة.

نظر اليها مجدداً، منتقداً:

ـ حسنا، يجب أن اقول انك نجحت بذلك لكنك ستبدين رائعة ولو ارتديت كيس بطاطا.

فجأة دوى صوت هنتلي بحدة:

ـ سوليڤان؟

شحب لون جون بشكل ظاهر واستدار كالدوامة:

ـ نعم سيدي.

ـ بشأن سندات شركة المعادن. . هل اوضحت لك رأيي بشأن تلك الشركة؟

ـ اجل سيدي.

ـ حسنا، اقترح عليك البدء في العمل فوراً.. فسأخرج الان.

ـ اجل.. سيدي.

ابتسم لنيكول شاحباً، ثم اسرع يمر بهنتلي واختفى وراء الباب... فتقدم اليوت نحوها وقال:

ـ هل لنا ان نذهب؟

لم يتكلما ثانية الى ان اصبحا خارجاً على الرصيف امام المبنى... عند المنحنى كانت تقف سيارة طويلة براقة. اثناء السير اليها قفز سائق يرتدي بذة رسمية من خلف المقود، وحياهما وفتح لهما الباب الخلفي، وسألته نيكول بعد أن جلسا على المقعد الخلفي في الداخل.

ـ لماذا هذه الفخامة؟

التفت اليوت اليها رافعاً كتفيه:

ـ يصعب وجود تاكسي في مثل هذه الساعة.. المؤسسة تدفع تكاليف هذه السيارة وعليه فأضعف ما أقوم به هو استخدامها من وقت لآخر.

مال الى الامام ليعطي السائق عنواناً سرعان ما عرفت انه لشقته فانتفضت.. يظهر أن صرير الاسنان قادم الآن، فهو سيصطحبها الى شقته.. ولم تدر ما إذا كان يجب ان تحس بالاهانة ام بالراحة عندما انطلقت السيارة من المنحنى نحو زحام السير، نظرت اليه نظرة استفهام فاسترخى في مقعده الوثير وقال:

ـ ارجو الا تمانعي فانا انتظر مكالمة مهمة.

ردت ببطء:

ـ لا.. لامانع لدي.

هذا هو الامر اذن... سيتم الليلة الاستقرار على امر، بهذه الطريقة او بتلك... سيقوم بغزله، وستنتهي الإثارة. خفق قلبها بشدة، وغمرتها حرارة غريبة.. ومع ان اليوت كان يجلس بهدوء كالعادة، تاركاً المسافة نفسها بينهما، غير ملامسها، فقد عرفت انه يحس بذات المشاعر التي تحسها. بدا جو السيارة الفاخر مشحوناً بتوتر قلق... بدا وكأن له شرارات تومض بينهما.

استمرا فترة هكذا، لا يتفوهان بكلمة... كان اليوت يجلس في مقعده مرتاحاً، مادا ساقيه المديدتين أمامه، واضعاً يديه على ركبتيه، ينظر الى الزحام خارجاً بعينين شبه مغمضتين. انه أحد أولئك الرجال الذين تعتقدهم لا يحتاجون للنوم... لكنه يختار الاستراحة في لحظات غريبة كهذه، حين لا يكون هناك طلب على وقته او اهتمامه.

سألت نيكول بعد فترة:

ـ انا حائرة حول امر ما.

ادار رأسه اليها:

ـ نعم؟

ـ لماذا دهش جون سوليڤان عندما رآني في مكتبك اليوم؟ الا يعرف أننا نتلاقى؟

ـ لا.

ـ ولمَ لا؟

ـ لأن لا شأن له.

ـ اتخجل بي؟

اتسعت عيناه، قبل أن ينظر اليها نظرة عميقة، فيها ذهول، وشيء آخر، أهو لوم؟ ألم؟ ثم في لحظة اختفى كل شيء،

وابتسم:

ـ تعرفين اكثر من هذا... فلدي قاعدة ثابتة وهي عدم مزج حياتي الخاصة بحياتي العملية.

وهذا ما تصدقه كل الصدق... فهو شخص كتوم حقاً. ونظراً للطريقة الحاسمة، الظالمة تقريباً، التي عامل بها جون سوليڤان، استطاعت ان تفهم كذلك لماذا يجب ان يكون الامر طي الكتمان. فاليوت هنتلي رجل يتربع على عرش السلطة، وحتى يحافظ عليها، خلق جداراً لا يخترق حول نفسه.

حين وصلا الى شقته، تذكرت نيكول ذلك الموقف الذي جرى هناك منذ شهرين، حين تقدم بعرضه الشهير لها. وبدا لها هذا وكأنه في زمن آخر... انه بكل تأكيد ليس بذلك الفتى العابث الخفيف الذي حسبته.

بينما كانت تراقبه، تحرك باتجاه النوافذ بخطوته الهينة الواثقة ينتقل منتصباً، يحمل نفسه بطريقة رشيقة لا تناسب ضخامته، كان عليها أن تعترف انها منجذبة اليه اكثر مما كانت تحلم.

بعد ان رفع الستائر عاد إليها وهو يخلع سترته فبان قميص أبيض ناصع يحتضن القسم الاعلى من جسده، وكأنه مصنوع خصيصاً ليناسب عضلاته الضخمة. ما ان اقترب منها حتى اخفضت نظرها تعبث بحقيبتها. سألها بادب وهو يضع سترته على ظهر كرسي:

ـ اتمانعين؟ المكيّف ليس على ما يرام في مثل هذه المباني.

ـ لا.. بالطبع لا.. فالجو حار فعلاً.

ـ هل تسمحين بأن آخذ سترتك؟

ترددت لأن كل ما ترتديه تحت السترة هو قميص قصير ليس له

كم. عندما كانت ممثله. لم تكن لتتردد لحظة في كشف اكتافها وذراعيها او صدرها... لكن... الآن...

تمتمت بصوت خفيض:

ـ لا... شكراً. ليس الآن.

هز رأسه، وسأل:

ـ هل نتناول شراباً قبل تناول الطعام؟ السيدة بيرسون حضرت لنا طعاماً بارداً قبل ذهابها، والوقت ما زال باكراً.

ـ اجل... سأحتسي شراباً.

ـ عصير بارد؟

ـ عظيم.

جلست على حافة الأريكة الطويلة المريحة وراقبته يضع الثلج في الكأس ويصب العصير من الابريق، في حركة حاسمة واثقة. حين كان ظهره إليها، استطاعت ان تمعن النظر إليه فهي لم تشاهده قط دون سترة إلا في ذلك اللقاء القصير قرب البحيرة... لكنها يومذاك جاهدت لتجنبه.

أما الآن فلم تستطع إلا التحديق في جسده القوي الرشيق، ذي الخصر النحيف الذي ينسدل نزولاً من كتفين عريضتين ضخمتين مع انه ما يزال يضع ربطة عنقه إلا انه كان قد رفع كميه كاشفاً بهما عن زندين قويين، وعن ساعة ذهبية رقيقة ذات سوار من جلد اسود، وهي الحلية الوحيدة التي يضعها على معصمه.

حين انتهى، حمل الكأسين الى الاريكة، وقدم لها أحدهما. ثم جلس على الطرف الآخر تاركاً بينهما المسافة الباقية من عرض الاريكة.

رفع كأسه وقال باختصار:

ـ نخبك.

وابتلع بعضاً من الشراب، فتمتمت:

ـ نخبك.

ونظرت بدهشة الى الطريقة التي تتحرك فيها حنجرته وهو يبتلع الشراب.. أشاحت ببصرها عنه مرتبكة وارتشفت بسرعة شرابها.

ثم جلسا بصمت بعض الوقت، يسودهما التوتر الذي بدأ منذ رحلتهما من المكتب، وطفق يتفاقم مع كل لحظة، جاعلاً المسافة الفاصلة على الاريكة تتذبذب بموجات تكاد تراها وتسمع تكتكتها.. بحيث احست نيكول بقطرات من العرق تنضح من جبينها.

اخيراً افرغ كأسه، ووضعه على الطاولة الصغيرة، ثم التفت اليها:

ـ هل نتناول العشاء الآن؟ ام تودين كأساً آخر؟

ـ بل نأكل..

هبَّ عن الاريكة واقفاً، ينتظرها حتى تضع كأسها على الطاولة ذات السطح الزجاجي.. وحين وقفت امامه نظر اليها ممعناً البصر:

ـ تبدين متضايقة من الحرارة. أتحبين خلع سترتك الآن؟

نظرت اليه، وهي ترى أنه رغم هذا الانطباع العفوي الذي رسمه على وجهه، إلا أن هناك نوراً ناعماً جديداً في عينيه... فاحست فجأة بالهدوء.. والامان لاقتناعها بأنه لن يؤذيها أبداً. فقالت:

ـ اجل... ارجوك.

وبدأت تخلع السترة. وسرعان ما وقف خلفها يساعدها. ولم

تدر الا والسترة في يده يضعها على الأريكة. فاغمضت عينيها. لقد أزف الوقت، وها عادت ثانية خفقاتها تتعالى بشكل خطير.

حين استقرت يداه اخيراً على كتفيها العاريتين، سحبت نفساً عميقاً، ثم زفرت بتنهيدة ملؤها الارتياح. فجذبها الى الوراء والصقها به، عندئذ بدأ التوتر يتلاشى وطفقت عضلاتها المتشنجة تسترخي وتسترخي حتى سمحت أخيراً لنفسها بأن تسند جسدها اليه.

سرعان ما غرق وجهه في شعرها في حين أن يديه جالتا على كتفيها بلطف فأسندت رأسها الى رأسه، وبات خدها على خده، فارتجفت وهي تشعر بلحيته الخشنة النامية خلال النهار تخدش بشرتها الناعمة، وتحركت يداه إلى اعلى ذراعيها ووضع فمه على طرف عنقها.. وسرعان ما ادارت رأسها نحوه.. فانسلت ذراعاه تلفان خصرها، وتشدانها الى الخلف... حبست انفاسها وقد احست بيديه ترتفعان عن خصرها إنشاً اثر انش، فوق وسطها ثم ضلوعها.. ثم تابعت يداه رحلتهما الساحرة، حيث كان القماش الحريري ينزلق تحتهما، وبدأ رأس نيكول يدور ويدور... لم تكن تحلم يوماً بأنها قادرة على هذا التجاوب المجنون كله مع أي رجل. الحرارة المتفاقمة التي تصاعدت من جسدها كانت تدفعها الى المزيد.. وكانت تعلم انها بعد لحظات لن تقدر على منع اي شيء عنه.

التفتت إليه فالتقت نظراتهما.. كانت تسمع أنفاساً قوية عميقة سريعة، لكنها ما عرفت اذا كانت أنفاسه هو أم أنفاسها هي فتابعت النظر الى عمق عينيه السوداوين دون ان تتكلم، محاولة قراءة ما يفكر فيه من تعابير وجهه، لكنه كان يقول لها بجسده ما تحتاج الى

معرفته، فاغمضت عينيها تنتظر ما سيفعل.

لكنه امسك كتفيها وابتعد عنها خطوة. حين فتحت عينيها لترى ما يحدث، كان قد أسدل يديه الى جانبيه، وارتد باتجاه المدفأة. راقبته وهو يصب لنفسه كوب ماء شربه دفعة واحدة، لكنها أحست فجأة بالبرد والحرمان.

حين التفت اليها ثانية، كان القناع قد عاد الى وجهه بثبات.. فبدا واضحاً انه استعاد قبضته الحديدية على اعصابه. وعاد الى حيث تركها، ليتوقف على بُعد قليل منها واضعاً يديه على وركيه.. تعابير وجهه جامدة، متجهمة، وجادة كالموت.

قال بصوت خفيض ثابت:

ـ آسف نيكول... لم اكن اقصد أن يحدث هذا.

انتفضت... الم يدرك انها كانت تريده بالمقدار الذي كان يريدها؟ انه بخبرته دون شك يعرف تماماً متى تستجيب المرأة له؟

اجتاحتها موجات ساخنة من الخجل وترقرقت الدموع في عينيها فأشاحت وجهها عنه حائرة، غير قادرة على مواجهته... في اللحظة التالية، قطع المسافة الفاصلة بينهما وامسك بيديها قائلاً بسرعة:

ـ لا تسيئي فهمي... نيكول ارجوك انظري اليّ؟

ببطء أعادت بصرها اليه وقالت:

ـ اليوت...

لكنها لم تستطع ان تردف:

ـ فلنجلس، أحتاج الى أن أتحدث اليك.

قادها ثانية الى الاريكة وجذبها لتجلس قربه، ممسكاً يديها

بيديه.

ـ في الاسابيع الماضية، تجشمت عناء الم فظيع لئلا استعجلك على فعل اي شيء لست مستعدة بعد له.

صمت ليرفع اصابعه الى شعره الاسود.. ثم أضاف:

ـ الليلة، فقدت عقلي.. فانا بشر نيكول. لو بقيت بين أحضاني ثانية أخرى لحملتك الى الفراش. أعرف انه لم يئن الاوان بعد... لكن حين رأيتك بهذا القميص الرقيق. جميلة جداً، مرغوبة جداً، وديعة...

صمت ليقف على قدميه... وبدأ يذرع الغرفة، يفرك مؤخرة عنقه متطلعاً الى الارض. اخيراً التفت اليها مجدداً:

ـ انتظري حيث انت.. لن أتأخر عليك دقيقة.

خرج بكل هدوء من الغرفة. أثناء ترقبها مجيئه، بحثت في افكارها عن تفسير مقنع لتصرفاته، فلم تجد دليلاً عما يجري. ماذا يعني أن الوقت لم يحن بعد؟ ايتصور ان الناس يحسبون حساب أمور كهذه؟ حين ينجذب اثنان الى بعضهما بعض، يكون الوقت مناسباً لأي شيء قد يحدث.

كيف لها أن تقول له هذا؟ حركت رأسها تحاول البحث عن طريقة حذقة لتشرح له انها كانت ترغب فيه. لكن كيف له ألا يلاحظ؟ جلست هناك حائرة، وانتظرت.

عاد اليها بعد بضع دقائق، وتقدم مباشرة الى الاريكة.. حين جلس الى جانبها، ابتسم ومد لها يده بعلبة مسطحة مستطيلة الشكل... حدقت فيها وسألت:

ـ ما هذه؟

ـ خذيها.. إنها لك.

نظرت اليه مبتسمة:

ـ هدية؟ لم يحن بعد موعد عيد ميلادي.

ـ افتحيها.

وجدت لهجة التشوق والالحاح في صوته محببة حتى نسيت معها توترها. كان كصبي صغير ينتظر متوتراً أن تفتح هديته لها. هل الهدية سلسلة ذهبية؟ فكت الشريطة الصفراء، وهي تعتقد انها سلسلة غالية الثمن... لكن اذا كان هذا يرضيه، فستقبل بها.

ازالت الرباط، ورفعت ببطء الغطاء، فإذا بها تجد في حضن وسادة زرقاء من الساتان، سواراً ثقيل من الالماس، كل حجر كبير منه يزن قيراطاً على الاقل بينها أحجار اقل حجماً... رفعت بصرها إليه.

تناول السوار من العلبة وقال:

ـ هاك... جربيها.

امسك بيدها وبدأ يثبت السوار عليها قائلاً:

ـ أردت ان انتظر مدة اطول حتى أهديك إياها... اشتريتها منذ اشهر... لكن الليلة... حين بدوت لي.. حسناً... قررت ان الوقت ازف.

أحكم إقفال السوار الآن، فمدت ذراعها تحدق في الجواهر البراقة وكأن المعصم الذي يحملها هو لشخص آخر... لكن ما أن استفاقت من الصدمة، حتى بدأ غضب بارد يتصاعد في نفسها... كان قد بدأ اولاً تقلصاً في معدتها ثم تصاعد حتى أصبح لهيباً مع مرور كل ثانية.

سألته بلهجة باردة كالموت:

ـ منذ متى هذا السوار اليوت لديك؟

رد ببطء:

ـ اشتريته في شهر ايار.

ظللت وجهه غيمة سوداء، وبدا حائراً من تجاوبها البارد... تأمل وجهها متوتراً وقال:

ـ لماذا؟ وما الفرق؟ ما الخطأ نيكول؟ الا تعجبك؟ استطيع ان استبدلها بشيء آخر.

سألته ببرود:

ـ أكان هذا قبل او بعد عرضك العملي؟

اصبح وجهه احمر قاتماً:

ـ اعتقد اننا اتفقنا على نسيان الامر.

ـ هل لك ان تجيب عن سؤالي؟ هل اشتريتها قبل ام بعد تلك الامسية؟

ـ حسناً... اذا كان الامر يهم.. في اليوم نفسه.

مدت يدها، وفكت السوار بهدوء، واعادتها الى العلبة، واقفلت الغطاء قبل أن تعيد العلبة اليه، ثم وقفت تنظر اليه.. الرجل الذي اعتقدت منذ دقائق انها تحبه.. تبين انه وحش لذا راحت تنظر اليه الآن بكراهية:

ـ ما زلت تحاول شرائي يا اليوت؟ الن تتعلم ابداً؟

هب على قدميه وأمسك بكتفيها صائحاً:

ـ لا! انا بكل تأكيد لا احاول شرائك.

فصاحت به ايضاً مشيرة الى العلبة.

ـ ماذا تسمي هذا اذن؟

ـ ليست سوى تلميح.. يتحدث عن.. عن.. ليس كما تظنين.

ـ بل الامر بالضبط كما اظن، وانت تعرف هذا، لقد أردت ان تهديني إياها تلك الليلة توقيعاً على صفقتك القذرة. هذه هي الطريقة التي تمارسها مع جميع النساءاليس كذلك؟ لكن حين وجدت انني لا اريد الانخراط في لعبتك تحينت فرصة اخرى، ولا ريب في انها كانت بحوزتك يوم دعوتنا الى ذاك النادي.

نظرة الذنب التي بدت على وجهه أعلمتها انها اصابت الهدف، فأضافت:

ـ ثم، بعد أن فشلت في هذا ايضاً، تبعتني الى الكلية وتسللت الى...

فجأة ما عادت تحتمل الدموع التي كانت تهدد عينيها تدفقت وانسابت فدفنت وجهها بين راحتيها وتركتها تنساب. سرعان ما احاطها بذراعيه.. فحاولت التخلص منه، لكنه امسك بها على اي حال.. وأخيرا القت رأسها على صدره تنتحب. راح يمسح شعرها، الى ان اجهدت، فمد يده الى جيب سرواله واعطاها منديلا ابيض جديداً.

ادارت ظهرها اليه، فمسحت عينيها، ونفخت انفها بصوت مرتفع وقالت بصوت متهدج:

ـ أود العودة الى منزلي.

ـ انظري الي نيكول.. لا اريدك ان تخرجي من هنا قبل ان نسوي هذا بيننا. سأستعيد هذا السوار اللعين ولن اهديك هدية اخرى ما دمت حياً.. اذا كان هذا ما تريدين. سأفعل اي شيء.. لكن لا اريد ان اخسرك.. ليس الآن.

رغم غضبها وخيبتها، لامس شيء ما في صوته نطاق قلبها فالتفتت اليه ببطء تحدق اليه. كان وجهه متجهماً، بشرته تخلو من

اي لون، والالم في عينيه حقيقي.. وهي كذلك لا تريد ان تخسره.. لكن يجب ان يسويا هذه المسألة بينهما والى الابد.

ـ حسناً اليوت. اخبرني شيئاً واحداً. لماذا فعلت هذا؟ انت تعلم انني لست عرضة للبيع. لقد اوضحت لك هذا منذ البداية.

رفع كتفيه دليل هزيمته.. وقال عاجزاً:

ـ انها الطريقة التي اعتمد والتي لا اعرف سواها.. قلت لك مرة انك مختلفة عن اية امراة عرفتها من قبل. وهذا صحيح. وانا لا افكر فيك على انك سلعة للبيع.. صدقيني.

احنت رأسها الى جانب واحد تحدق في عينيه:

ـ حسناً اليوت.. ماذا تعتبرني إذن؟

تداعت نظراته فوراً وأشاح عنها متجهاً الى النافذة، يداه في جيبي سرواله وكتفاه مقوستان.. وقف هناك لحظات يحدق في سماء صيف لندن، حيث راح الظلام يشتد، والاضواء تنار ضوءا اثر آخر في المدينة.

حين التفت اخيراً، كان وجهه في الظلمة، ولم تستطع قراءة أساريره. بينما كانت تترقب كلامه ليجيب عن السؤال الاهم بالنسبة لها، لم تستطع الا ان تأمل ان يقول الكلمات التي تود يائسة ان تسمعها.

وقال اخيراً بصوت خفيف.

ـ لا استطيع الرد على هذا السؤال.. الا بأن اقول لك ثانية انني احتاج اليك، وانني أردتك اكثر من اي شيء آخر في حياتي... وتحت اية شروط.

عندما سمعت كلامه، ماتت جذوة الامل في نفسها، فامسكت

سترتها عن الاريكة.. وقالت بخشونة:

ـ اريد الذهاب الى المنزل الآن.. اليوت.

قطع بسرعة الخطوات الفاصلة بينهما وقال بتعاسة ظاهرة:

ـ لا تذهبي.. أنا لا أفهم لغضبك مني سبباً.. بل كيف اعتقدت لحظة انني اريدك عشيقة وقد عرضت عليك منذ البداية الزواج.

فصاحت به:

ـ اوه.. اليوت! كيف لك ان تكون على هذه الدرجة من الغباء؟

ـ حسناً انا غبي! ارجوك، ماذا تريدين مني؟

ما تريده هو ان تسمعه يقول: احبك! لكن إما انه لا يعرف معنى هذه الكلمة وإما انه غير قادر على قولها.. مع ذلك حين نظرت الى وجهه الكئيب، الغارق في التعاسة عرفت انه يهتم بها فعلاً لكن ما السبيل حتى تجعله يطلق ما في نفسه.

قالت له اخيراً:

ـ لا اريد شيئاً منك، خاصة هداياك الثمينة.

ـ حسناً.. وماذا ايضاً؟

كان عليها ان تبتسم.. فأمامها الآن «رئيس» امبراطورية مالية ضخمة، يسألها ماذا يستطيع ان يفعل ليرضيها.. ألا يكفيها هذا؟

ـ حسناً.. يمكنك تقديم الطعام لي.. فلهذا كان وجودنا هنا.

تناولا عشاءهما البارد في جو صامت متوتر مرتبك، وكأنهما يرغبان معاً في عدم اشعال الجو المشحون بالعواطف، ولم يذكرا شيئاً له علاقة بالسوار الألماسي. عاملا بعضهما البعض باحترام شديد.

ـ أتودين شراباً؟

ـ لا شكراً لك.

ـ كيف وجدت الطعام؟

ـ مذهل. فالسيدة بيرسون طاهية ماهرة.. إلا أنني عادة أفقد شهيتي في هذا الجو الحار.

ـ يقال إنها ستمطر في الأسابيع القادمة.

ـ سيريحنا هذا. إن الرطوبة الشديدة أحدثت موجتين من الضباب الكثيف هذا الشهر، حتى شاعت أمراض التنفس.

ما إن تناولت حاجتها من الوجبة اللذيذة التي لم تتذوقها جيداً، حتى ادعت الصداع فأوصلها أليوت في سيارة أجرة دون احتجاج. المسافة الصغيرة إلى شقتها تمت بصمت مماثل. عند الباب، أدارت المفتاح في القفل، ثم التفتت إليه مبتسمة.

ـ أشكرك على العشاء. لعل أمل السيدة بيرسون لا يخيب بسبب شهيتي الضئيلة إلى الطعام.

نظر إليها نظرة قاسية صحبها تقطيبة بسيطة. كان رأسه منحنياً إلى أحد جانبيه فبدا لها وكأنه يوشك أن يقول شيئاً آخر غير التفاهات المهذبة.. فحبست أنفاسها تترقب الكلمات السحرية، لكنه على ما يبدو عدل عن ذلك، يلوذ بالصمت.

دون أن يتفوه بكلمة، انحنى إليها وعانقها باقتضاب، وكأنه يخاف أن تنكسر بين ذراعيه إذا شد عليها.

ـ سأتصل بك.

وارتدَّ على عقبيه مبتعداً.

في وقت متأخر من تلك الليلة، كانت نيكول ما تزال مستلقية في السرير تراجع أحداث الامسية.. وكانت الذكرى تربكها.

راجعت في ذهنها كل تاريخهما معاً مراراً وتكراراً. أولاً لقد

عاملها وكأنها بضاعة للبيع، ثم تصرف وكأنه متوحش يدافع عما هو يملك فكان يقسو على كل رجل يلمسها. . ثم لم يلبث ان نحّاها عن ذهنه، وأخيراً راح يعاملها وكأنها قطعة خزفية نادرة الوجود يخشى ان تنكسر بدلاً من أن يعاملها كامرأة من لحم ودم.

وها هو الليلة قد عاد الى تكتيكاته القديمة. . مظهراً تلك القطعة الالماسية اللعينة في اللحظة التي سمح لنفسه بان يطلق عنان مشاعره.

ترى ماذا سيفعل الآن؟ ايتعمد تركها هكذا حائرة؟

اذا كان هذا مراده فقد نجح. لكن رغم كل هذا هي مقتنعة بأنه مهتم بها قدر اهتمامها هي به. تعلم انها ليست مخطئة في هذا لكن يبدو انه لا يعرف ماذا يفعل ليعبر عما يحس بصدق وصراحة.

أعليها ان تتجرأ وتبوح له هي قائلة: «أليوت احبك. . اتحبني». كيف لها ذلك؟ هل ستكون لديه اية فكرة عما تعنيه. . فالحب بالنسبة له يعني الامتلاك، التملك والحب الجسدي. . ولا يعني له ابداً الحب الحقيقي، الذي هو ثقة وعطاء، وانفتاح امام الحبيب.

ليتها تستطيع إفضاء ما في نفسها لشخص آخر يستطيع ان يسدي لها النصح. أمها ماتت حين كانت في سنتها الجامعية الأخيرة. ووالدها تزوج من جديد بعد سنة وهاجر الى اوسترالیا. اما شقيقها الوحيد فضابط بحرية في الاسطول الملكي وهو الآن في اعالي بحر الشمال.

فكرت في الاتصال بليونا، لكنها عادت فصرفت النظر عن هذه الفكرة. . لن تكون بذات فائدة لها، بل إن المدينة كلها وبعد دقائق قليلات ستعرف ادق التفاصيل عن علاقتهما. . .

في الصباح التالي احست نيكول أنها افضل حالاً. . . المطر الموعود وصل أخيراً. . . صحبته موجة عنيفة من الرعد والبرق،

وقد ازال المطر اخيراً الضغط الجوي الرطب الذي يُسبِّب الضباب الثقيل، ونظف شوارع المدينة المغبرة، لذا كان افضل ما عليها فعله هو البقاء في المنزل. مع ان موجة المطر لم تدم طويلاً، إلا انها اضطرت الى البدء بمشاريع كانت قد أخرتها منذ أسابيع. . . وبما ان تدريبها انتهى الآن، فلتفعل ما تريد.

خلال اليومين التاليين عملت جاهدة في تنظيف شقتها وتحضير ملابسها للعمل الجديد الذي ستبدأ بمزاولته بعد اسبوعين. وبينما هي تنفض وتكنس، تغسل وتكوي، كان تفكيرها ينجرف بصورة دائمة الى اليوت هنتلي، تفتش عن وسيلة لإذابة واجهته الجليدية التي تغلف مشاعره. . لقد اوجدت في تلك الواجهة شرخاً خفيفاً حين جعلته يتكلم عن ماضيه المؤلم، وعليها الآن أن تجد وسيلة لتوسيع ذلك الشرخ.

يوم الثلاثاء، اتصل بها، كما وعد، ورغم التوتر الذي شاب حديثهما، إلا أنها كانت سعيدة بسماع صوته.

ـ يجب أن أشارك في حفلة استقبال خيرية في منزل خاص مساء السبت، انها حفلة رسمية، على المشارك فيها من الرجال ارتداء ربطة عنق بيضاء وسترة سوداء أما النساء فعليهن ارتداء فساتين سهرة طويلة. أيهمك الامر؟

ـ اجل. . . قد اجد لذة في ارتداء مثل هذه الملابس ثانية.

ـ عظيم، الدعوة عند التاسعة، سأحضر لاصطحبك في السابعة والنصف وذلك حتى نتناول العشاء اولاً. . . فلا أحد يصل الى هذه الاحتفالات قبل العاشرة. . . كيف كانت احوالك؟

ـ اوه. . . كنت أعمل. . قمت ببعض الاعمال المتأخرة. لقد انتهيت من التدريب.

ـ وهل نجحت؟

ـ أجل...

ـ ومتى... يبدأ العمل؟

ـ بعد أسبوع... لكنني على الأرجح سأذهب قبل هذا الموعد لاعتاد على الجو والمكان.

بعد إقفال الخط، جلست نيكول امام الهاتف، عابسة، لأنه بدا لها متحفظاً جداً... لكن هذا أمر عادي، وستراه ليلة السبت. ربما حتى ذلك الوقت تكون قد لملمت شجاعتها لتبوح له بمشاعرها وعندها يزول هذا التوتر المخيم على علاقتهما. أي شيء سيكون خير من هذا التخبط في الظلام.

بعد ظهر الجمعة، كانت الشقة قد أصبحت نظيفة لا يشوبها شيء.. فملابسها مرتبة، وروحها المعنوية مرتفعة. بما أنهما على موعد غداً، فلماذا لا تدعوه الى بيتها عوضاً عن الذهاب الى مطعم؟ وعندها تقوم هي بطهو وجبة طعام، وتحيطه بجو بيتي حميم، وربما سيحضره هذا قليلاً لتعلن عن حبها الذي هي في غاية الشوق للبوح به.

يجب أن تتصل به في مكتبه ما دامت الفكرة طازجة في ذهنها وذلك قبل أن تفقد حرارتها.

تقدمت الى الهاتف بكل ثقة.. لكن ما ان مدت يدها لترفع السماعة حتى رن جرسه... حين أجابت سمعت صوت اليوت:

ـ نيكول... انا آسف لن أفي موعد العشاء غداً.

غاصت في المقعد... تباً!... لقد ذهبت السهرة التي افكر فيها ادراج الرياح...! لكنها قالت:

ـ وانا آسفة كذلك اليوت.

ـ لقد وصل ممثل المؤسسة في نيويورك لقضاء نهاية الاسبوع. وسأكون مقيداً باجتماعات معه حتى صباح الاثنين.

صرّت نيكول على اسنانها:

ـ افهم.

ران صمت قصير... ثم قال:

ـ سأتصل بك في الاسبوع القادم.

ـ طبعاً... شكراً لاتصالك.

بعد أن اقفلا الخط، سارت نيكول كئيبة في الشقة الفارغة.. خائبة الامل محبطة.

بقي مزاجها نكداً طوال اليوم وقد استمر على حاله حتى اليوم التالي، يوم السبت.

اعتادت على رؤية اليوت في نهاية كل اسبوع حتى بات غيابه يشكل فجوة كبيرة في حياتها، لكن لم يكن أمامها إلا التجول على غير هدى من غرفة الى اخرى حتى سئمت نفسها، فليس لديها أبحاث تقوم بها ولا عمل يتطلب منها البدء به. احست للمرة الأولى في حياتها بأنها متأرجحة حتى تكاد تجن سأما.

حاولت القراءة، لكن حين وجدت نفسها تكرر قراءة الجملة نفسها ثلاث او اربع مرات دون أن تفهم كلمة، اضطرت الى مشاهدة بعض المسلسلات التي قامت بأدوار البطولة فيها.

اخيراً، وفي وقت متأخر من بعد ظهر السبت، اتصلت بآغني ايردال، صديقتها في الكلية تريد أن تسألها إن كانت تحب الخروج برفقتها لتناول العشاء ولمشاهدة السينما بعد ذلك وهدفها من ذلك عدم التفكير في اليوت لكن آغني ردت بمرح:

ـ آسفة نيكول، اليوم عيد ميلاد زوجي، والعائلتان ستحضران

الى منزلنا.

ـ آسفة أنا كذلك. ربما في وقت آخر.

ـ هاي... ما بك على اية حال؟ كنت اظنك في المدينة تمرحين مع السيد هنتلي الساحر في نهاية كل اسبوع. حذار ان يفلت من يدك.

تمتمت نيكول ببعض الكلمات، ثم ساد صمت متوتر، قطعته اغني بابتهاج:

ـ اسمعي ما اقول.. ما رأيك بالمجيء إلى منزلي لحضور الاحتفال؟ هذا إذا كانت لديك شجاعة لتقودي سيارتك. ليتك تقابلين تود والأولاد. إن عائلتي جميعها تتوق الى رؤية نيكول هانترز الشهيرة. لقد احبوا مسلسلك الأخير.

ارتجفت نيكول من التفكير بقيادة السيارة ما يقرب الثمانين ميلا وصولاً إلى اوكسفورد، فاختلقت عذراً واهياً، وبعد دقائق من الحديث القصير حول العمل الذي ستبدأ به كل منهما قريباً اقفلا الخط.

في النهاية خرجت الى السينما وحدها فشاهدت قصة حب حزينة تركتها اكثر بؤساً مما كانت عليه.

في الصباح التالي عاد اليها عقلها. كان يوماً صيفياً جميلاً، فيه الشمس مشرقة والسماء صافية زرقاء. حين كانت تجلس قرب نافذة مطبخها المشرفة على هايد بارك، تشرب قهوتها الصباحية تقلب صحف الاحد، رأت بأم عينيها ما منع اليوت عن الايفاء بموعده... انه ليس بتأجيل بسيط، وليس نهاية العالم.

فبينما كانت تقلب الصحيفة الى صفحة الكلمات المتقاطعة، التقطت عيناها صورة في الصفحة المقابلة تظهر اربعة اشخاص:

رجلين وامرأتين، يجلسون على طاولة مليئة بما طاب ولذ من مآكل في مطعم. حققت النظر في الصورة، وإذا بها ليست مخطئة أبداً! فأحد الرجلين، ودون اي مجال للريبة، اليوت هنتلي.

كان ينظر بعيداً عن الكاميرا، وعبوسه المعروف على وجهه، مديراً رأسه نحو امرأة تجلس قربه، وتحدّق فيه بشغف.. ثم عرفت المرأة! انها بيتي.. زميلة لها في التمثيل.

إنها بيتي، التي قصّت عليها الشائعات الدائرة حول اليوت هنتلي في ذلك اليوم في مكتب ليونا. بيتي التي رفض هنتلي ان تقوم بدور البطولة في المسلسل لأنه أصرّ على ان تقوم به نيكول.

لم تستطع التصديق! جلست تحدق لما بدا لها ساعات، وما ان استقرت الحقيقة في ذهنها المباغت، حتى بدأ الغضب يغلي ببطء فيها ثم لم تشعر إلا وهي تصرخ صرخة خفيضة، رمت بعدها الصحيفة الى الارض، مع سائر الصحف الأخرى وقفزت واقفة، لتذرع الشقة من اولها الى آخرها.

تأوهت بصوت مرتفع:

ـ عمل! انه عمل مشبوه، هكذا هو!

أحست بانها تعرضت للخيانة والاستغلال. لقد كذب عليها! فجأة بان امامها كل شيء واضحاً.. الطريقة التي لحق بها قبل أن يلتقيا، اصراره على أن تقوم بالمسلسل، ثم عرضه الشهير. حين خذلته لم يستسلم، بل اعاد لملمة قواته ليعيد الهجوم.

منذ ذلك الحين وهو يلعب معها لعبة الانتظار الحذقة، محافظاً خلالها على أعصابه، غير مستعجل لحث العلاقة، لكن عندما احس اخيراً بتجاوبها قرر أن الوقت ازف لعرض آخر فاظهر لها السوار الذي كان قد اشتراه منذ بدء اللعبة.

تحوّل غضبها تدريجياً الى غضب اعمى جعلها ترغب في كسر شيء ما ولكن يُستحسن أن يكون هذا الشيء اليوت هنتلي، تحت الغضب كان هناك الم دفين يقبع في اعماق قلبها... لقد وثقت به! وأحبته ثم أقنعت نفسها بغباء بأنه يحبها.. بيد أن الرجل غير قادر على الحب.. فليس له مشاعر صادقة في حياته.

اسندت جبهتها إلى زجاج نافذة المطبخ الذي بردّت برودته جبهتها الملتهبة. نظرت الى الحديقة حيث كان متنزهو يوم الاحد قد تجمعوا للسير. كان معظمهم من العائلات، آباء، شبان واطفال فرحون يركضون فوق العشب، احبة يتمشون معاً ومجموعة من المراهقين يشقون طريقهم ببراعة بين الناس فوق زلاجاتهم.

لكن ما زالت لا تصدق انه كما تصفه، فثمة شيء ما في داخلها يجعلها تتروى قبل ان تحكم عليه؟ فلماذا استمر في السعي وراءها باصرار في الاشهر الاخيرة؟ ربما تسرعت في حكمها، ربما قفزت الى استنتاج خاطىء حول دليل صغير جداً.

عادت الى الطاولة لتستعيد الصحيفة عن الارض. ثم حملتها ودنت من النافذة لترى بوضوح... انه هنتلي دون شك، لكن لا يبدو أنه يقضي وقتاً مرحاً. نظرت الى المقال المنشور تحت الصورة، انه لأحد أشهر كتاب الشائعات الاسبوعيين، طالعها اسم اليوت هنتلي وهي تقرأ المقال:

«اليوت هنتلي صاحب ورئيس مؤسسة هنتلي، واشهر عازب في دوائر المال، ظهر في مطعم «ادوارد» ليلة امس مع جميلة اخرى هي بيتي مانسفيلد. ويبدو أن السيد هنتلي يركز اهتمامه على الممثلات اللواتي يخطفهن من تحت الاضواء.. والسؤال هنا ما اذا كان قد تخلى عن اجمل الجميلات نيكول هانترز، التي هجرت

مؤخراً عالم الاضواء لتلج العالم الاكاديمي».

ما أن انهت القراءة حتى كان جسدها ينتفض، ويداها تضغطان على الصحيفة تكادان تمزقانها. همست: السافل الحقير! كيف يجرؤ!

مزّقت الصحيفة شر تمزيق، وكأنها تحطم بذلك من فيها. ثم رمتها في سلة المهملات تحت المغسلة.

مرت بها موجات من الغضب المتقد. كان رأسها يدور ويدور. مدت يديها إلى الرف الملحق بالمغسلة، ووضعت رأسها بينهما. وهي تشعر بأن فراغاً اسود قد حل مكان ما بداخلها، وتصاعد شعور بالغثيان المر الى حلقها، وكانت على ثقة بأنها بعد لحظات ستتقيأ ما تناولته من فطور.

في تلك اللحظة، رن جرس الهاتف. رفعت رأسها بحدة فقد عرفت بطريقة ما أنه هو المتصل. مدت قامتها، والكلمات القاسية النارية تتكون في ذهنها... اوه.. ستخبره بالضبط رأيها فيه!

لكن شيئاً ما... منعها. فلو تحدثت معه الآن في ثورة غضبها هذه، فستظهر نفسها حمقاء. فلماذا تشبع غروره بإسماعه السم من طرف لسانها؟ إنها بتهجمها ستظهر له أنها غيورة سليطة اللسان. فلتسترد كرامتها ولتحمد الله لأنّ شيئاً قد تندم عليه لم يحدث.

واستمر الرنين، فتجاهلته بعناد، وذهبت من غرفة الجلوس الى غرفة النوم.. سوف تستحم... تغير ملابسها، تنزل، تقطع الشارع وصولاً الى الحديقة العامة حيث ستسير ما شاء لها السير.

في الصباح التالي، بعد الفطور مباشرة، اتصلت بالمكتب الرئيسي لجمعية مساعدة الاولاد المحرومين وطلبت التحدث مع

المديرة، وجاءها الرد:

ـ جاين اونيل تتحدث.

ـ سيدة اونيل، انا نيكول هانترز.

ـ اوه اجل نيكول.. كيف حالك؟ لعلك مستعدة لبدء العمل الاثنين المقبل. فنحن بحاجة ماسة للمساعدة هنا.

ـ لهذا السبب اتصل بك. انا على اتم الاستعداد. سأكون عندكم في الوقت المحدّد تماماً.

بعد أن أقفلت الخط ارتدت ملابسها وخرجت تقصد الحديقة العامة. راحت فيها تسير وتسير على غير هدى، تحاول جهدها نسيانه.

أجهدها السير الحثيث دون ان يكون له فائدة.

تلك الليلة عندما أوت إلى فراشها، كانت ما تزال تشعر بوجوده يرهق أعصابها. أرادت أن تخرجه من عقلها، لكنها لم تحس بالقوة الكافية لفعل هذا الليلة، فنهضت من فراشها وأعادت شريط الهاتف الى مكانه، بعد أن كانت قد انتزعته يوم الاحد الماضي.

كانت قد أقنعت نفسها بأنه قد تخلى عن محاولة الاتصال بها.. وشكت في أنه قد يطرق بابها ليعلن انه سئم اللعبة التي يلعبها معها، وانه تخلى عنها اخيراً.

لكن الهاتف رن حالما عادت الحرارة اليه، كانت ما تزال واقفة هناك. فانتزعت السماعة بسرعة قبل ان تجيب:

ـ آلو؟

ـ نيكول.. انا اليوت. كنت احاول الاتصال بك منذ صباح الاحد.. وقد مررت الى شقتك مراراً. لكنك لم تكوني في المنزل.. هل انت بخير؟

ـ اجل... انا بخير تماماً.

وان صمت كبير... لكنها هي لن تساعده، فليتعذب، ستقف صامتة هكذا تحس بالرضى والاكتفاء حتى يوم القيامة... ولن تتكلم.

واخيراً قال:

ـ لدي احساس بأنك شاهدت تلك المقالة الحمقاء في الصحيفة.

ـ اوه.. لا بد انك تشير الى تلك التي كنت فيها مع بيتي. اجل شاهدتها مع الصورة. ويجب أن اقول انها ليست صورة جيدة لك، لكن بيتي بدت فيها رائعة. اعتقد أن هذا كان اجتماعك المزعوم. هل ستعدها بتمويل مسلسل أو فيلم؟ ربما يعجبها السوار أيضاً.

كان الاجدى بها ان تعض لسانها، فقد قالت ما لا ينبغي قوله.. ماذا حدث للسيطرة على الذّات التي وعدت نفسها بها طوال الاسبوع؟ اقفلت فمها بسرعة، تقسم ان لا تتحدث ثانية ستتركه يقول ما عنده، ثم تودعه، وينتهي الامر... الى الابد...

ـ لم يكن الامر كما ظهر... ممثلنا في نيويورك قام بترتيبات العشاء وحين عرفت ما يجري...

قاطعته بمرارة، تحنث بالقسم الذي قطعته على نفسها بالصمت:

ـ لا تقل لي، انك وقعت في فخ، وانك كنت ضحية بريئة لقدر ظالم.

ـ لا تكوني مجحفة نيكول، أمهليني لشرح الامر.. اعرف ان ما بدا على تلك الصحيفة اللعينة سيء... لكن...

ـ ارجوك ارحني من الاستماع الى مبرراتك اليوت.. لا حاجة لتفسير اي شيء. فلم يكن على اي حال بيننا علاقة حصرية، فأنت

حر، وكذلك انا.

ـ لكنني اعتقدت أننا نكنّ لبعضنا بعضاً ما هو أكثر من علاقة عابرة الن تحاولي الاصغاء والفهم؟

أغضبتها لسبب ما لهجة التواضع في صوته.. انه يريدني ان اشعر أنا بالاسف عليه «هو»! لن تقوى على الاحتمال لحظة أخرى... تعرف انها قالت ما يكفي، لكنها لم تعد قادرة على منع نفسها.. فقالت ببرود:

ـ احب أن اعتقد انني امرأة متفهمة.. لكن الشيء الوحيد الذي لن أسامح عليه أبداً هو ان يكذب علي أحد. ساقفل السماعة الآن، فلا تعاود الاتصال.

وصفقت السماعة مكانها بقوة، وأجهشت بالبكاء.

تعالى الطرق على بابها بعد نصف ساعة... في ذلك الوقت كانت الدموع قد جفت من عينيها، وغسلت وجهها، وحاولت جاهدة نسيان وجود اليوت هنتلي، لقد انتهى أمره قبل ان يبدأ حقاً...

وقفت وسط غرفة الجلوس جامدة، مشدودة الأعصاب متوترة العضلات، كل طرقة على الباب ترن في رأسها، وتقلّص معدتها الى تقلصات حادة... إنه هو دون ريب، ولن ترد، فسيتعب في النهاية ويذهب.

لكنه لم يستسلم.. بل تابع الطرق على الباب... بينما بقيت هي واقفة جامدة متوترة الى أن أصبحت أعصابها على شفير الهاوية. ففكرت أن من الأجدى فعل شيء قبل ان تصيبها الهستيريا وتبدأ بالصراخ.. ماذا سيظن الجيران؟ يجب ان توقفه... استجمعت قواها، وشدت كتفيها، ثم سارت إلى الردهة، حيث

كانت الطرقات أشد وأقوى.

انتظرت الموجة التالية من الطرق، ثم سحبت نفساً عميقاً.. وصاحت:

ـ ارحل من هنا!

ران صمت رهيب... ثم سمعته يقول بصوت آمر:

ـ دعيني ادخل نيكول.

ـ لا... اذهب من هنا! لا اريد أن اراك.

ـ نيكول.. ارجوك.. يجب أن أحدّثك.

صرّت على اسنانها بقوة وبقيت بكماء... فتابع:

ـ نيكول... ارجوك افتحي الباب؟

ـ لا... لن افتح.

تهدّج صوتها، إذ كانت على وشك الاجهاش بالبكاء من جديد.. فقال بصوت شرير تصاعدت نبراته:

ـ حسن جداً... سأكسر هذا الباب اللعين.

وحبست انفاسها... فقد يكسره... وما من شك ابداً في هذا.. راحت غصة خوف تزحف الى حلقها، فهو لم يستخدم أمامها مثل هذه اللهجة الصارمة من قبل. ركضت الى الباب ووضعت وجهها عليه صائحة:

ـ لن تجرؤ على هذا. ساتصل بالشرطة!

ـ اسمعي نيكول.. امهليني خمس دقائق فقط.. دقيقتين... بالله عليك.. لن اؤذيك، وهذا ما تعرفينه جيداً. لا أريد إلا ان اكلمك.

إنها تعلم يقيناً صدقه، فهو كان دائماً صادقاً، وبناء على الوضع الحالي فهو سيبقى واقفاً هناك الى ما شاء الله حتى تستمع اليه...

ومن الأجدى لها ان تدعه يقول ما عنده ليتركها بعد ذلك وشأنها.

فتحت ببطء قفل الباب دون أن تبعد السلسلة عن مكانها، ثم نظرت اليه من الفتحة القصيرة التي سمحت بها السلسلة فإذا به على جانبي الباب، كل يد على حائط، يميل الى الامام ورأسه محني، وقدماه منفرجتان.

حين شاهدته أحست بالوهن فيجب ألا تدعه يدخل الى شقتها. لأنها ما ان تسمح له بلمسها، حتى تضيع وسيعود كل شيء الى طبيعته القديمة.

حين شاهدها، استوى في وقفته وحدق فيها:

ـ الن تدعيني ادخل؟

ـ لا.

ـ لماذا؟ انت بالتأكيد لا تحسبيني أقول ما عندي وأنا واقف على الباب.

ـ اسمع اليوت، انا لا انتظر قولك أو شرحك. لذا لن أدعك تدخل الشقة حتى وإن تحولت على بابي الى عمود حجري.

ـ أفهم من هذاأنك لا تريدين الإصغاء إليّ.

ـ افهم ما تريد... فلا أدين لك بشيء، اليوت هانتلي، فانت من زججت باسمي في آخر فضيحة على صفحات الجرائد.. لذا لن اسامحك على هذا.. لقد حقرتني علناً، وجعلتني ابدو حمقاء كاملة، وما كنت لاكترث لو حدث ذلك قبل ان اعتزل الفن.

ـ وهل ألام على ما ينشره بعض الاغبياء في صحفهم؟

ـ لقد اوقفت ذلك المراسل عند حده في ذلك المطعم الصيني... فلماذا لم توقف هذا؟ ام انك لا تريد؟ ربما هذا يناسبك ويتماشى مع مقاصدك، وهو ارتباط اسمك مع ممثلة

اخرى. العالم كله يعتقد انك تقوم بجمعهن الآن.

قطب مفكراً للحظات.. حتى كادت ترى بام عينها امارات تفكيره تدور في رأسه. لكن لا يهم ما النتيجة التي سيخرج بها الآن. لقد انتهى امره بالنسبة لها... ثم، وكأنه قرر امرا، هز رأسه:

ـ حسناً نيكول. أرى انني جئت الى هنا دون فائدة... فانت قد اتخذت قرارك منذ أن شاهدت الصورة، وادنتني على ذنب لم اقترفه. وأنا أعلم يقيناً أنك لن تصغي الى أي تفسير مهما كان، ومهما كان مقنعاً، أو حقيقياً.

ابتسم ابتسامة ملتوية ثم أضاف:

ـ غريزتي تقول لي إن في الامر اكثر مما شاهدته في الصورة، وحتى تصلي الى قرار في هذا. أعتقد أن لا فائدة من بقائي هنا.

ثم ارتدّ على عقبيه مبتعداً... راقبته يحث الخطى وبقيت تراقبه حتى اختفى جسده عن ناظريها، فأوصدت الباب.

كانت الغرفة حولها صامتة إلا من أصوات مخنوقة يبعثها الشارع. وقفت هناك، تستند الى الباب... وعيناها مغمضتان.

كلماته الوداعية اصابت منها مركز ضعف. أهو على صواب؟ أكان غضبها على تلك الخيانة المزعومة غطاء لشيء اعمق؟

تنهدت ودفعت نفسها بعيداً عن الباب... فالامر لم يعد مهماً.. إذ كان خطأ كبيراً منذ البداية... ولقد انتهى كل شيء الآن..

وأحست بالارتياح.

* * *

٨ ـ قل كلمة واحدة

صباح الاثنين، في التاسعة تماماً دخلت نيكول ممر المدرسة مستعدة لبدء أول يوم لها في الاشراف الاجتماعي، لكنها كانت تشعر ببعض الرهبة فالتعامل مع الأولاد في الواقع ليس كما في النظريات. عندما رأت تحركات التلاميذ في الملعب، كادت أعصابها تخذلها فتمتمت لنفسها:

ـ سيكون يومك الأول هو الاقسى.

توجهت الى مكتب المديرة السيدة أونيل، طرقت الباب بخفة، فسمعت صوتاً يتعالى من الداخل قائلاً:

ـ تفضل.

أدارت مقبض الباب ودخلت الغرفة التي بدت لها هادئة، نظيفة ليس فيها ما يدل على الترف.

ـ أهلاً بك آنسة هانترز.

صاحت السيدة أونيل ثم وقفت لتحيي نيكول. كانت السيدة في الاربعين من عمرها، امرأة لطيفة، هادئة، صارمة بعض الشيء.

ـ آنسة هانترز هل أنت على استعداد لبدء عملك الجديد؟

ـ أحسبني كذلك.

ـ أشعر بك مضطربة. لا تخشي شيئاً يا آنستي فالتعامل مع الأولاد ممتع. أعددت لك ملفات التلاميذ في مكتبك سأرشدك إليه بعد قليل. تفضلي معي آنستي، لأعرفك الى أقسام المدرسة.

أثناء تجوالهما امام المدرسة مرتا بأحد الصفوف.

ـ فلندخل هذا الصف (قالت السيدة أونيل).

دخلت نيكول بخطوات بطيئة تشعر بنظرات التلاميذ المنصبة عليها. كان يشغل كل طاولة تلاميذ تتراوح أعمارهم بين الحادية عشرة والرابعة عشرة. كل الأعراق والأجناس ممثلة هنا إضافة الى تصرفات وانطباعات مختلفة ترسلها عيون براقة فيها حب الاستطلاع وعدائية كثيبة.

يبدو أن الاوان قد فات على التراجع، وعليها المضي قدماً.

استوت واقفة بشكل مستقيم، وشمخت برأسها عالياً وكأنها فعلاً سيدة الموقف.

بينما كانت تنظر الى كل تلميذ منهم كانوا هم ينظرون ايضاً وسط همهمات وضحكات خاطفة.

قالت السيدة اونيل:

ـ أقدم لكم الآنسة هانترز، المشرفة الاجتماعية الجديدة في المدرسة.

رفعت إحدى التلميذات يدها ثم وقفت. كانت تلميذة سوداء صغيرة تجلس في الصف الامامي ترتدي ثوباً بالياً.

ـ نحن نعرف الآنسة من التلفزيون، وأنا أريد أن أكون ممثلة مشهورة مثلها.

انفجر الصف كله بقهقهات مرتفعة مع بضع تحيات وصفير حاد

من الصف الخلفي الذي يبدو أن تلاميذه أكبر من في الصف.

تقدمت السيدة تريد أن تنهر التلاميذ، لكن نيكول أشارت إليها بيدها تستئذنها بمعالجة الوضع.

ابتسمت نيكول بهدوء ثم قالت:

ـ إنه طموح رائع يا عزيزتي، لكنه يحتاج إلى عمل شاق وانضباط كامل وثقافة رفيعة. وهذه الفضائل جميعها لن تكون لك إلا إذا تعلمت فأجدت.

هزّت الصغيرة رأسها برزانة، أما الصف فأطبق عليه الصمت، فعرفت عندها أنها استطاعت كسر طبقة الجليد.

قالت اغني لها بعد انضمامها إلى نيكول في الكافتيريا:

ـ كيف كان صباحك؟ أكنت متوترة الأعصاب مثلي؟

ـ بل أكثر.

ـ ماذا وجدت.

ـ أمامي عمل شاق، فأوضاع التلاميذ صعبة.

ـ لا تخافي، ستنجحين، أنا واثقة من ذلك.

ارتشفت آغني رشفة من فنجانها ثم سألتها:

ـ حسناً كيف كانت عطلتك؟

هزت نيكول كتفيها:

ـ اوه... لم تكن سيئة. نظفت شقتي، غسلت ملابسي، وكويتها.

ـ يبدو هذا مدهشاً! كنت اظن ان الممثلات يعشن حياة مترفة.

ـ لكنني لم اعد ممثلة... لقد ولّى ذلك العهد.

ـ اجل.. لكن.

توقفت اغني عن الكلام، ثم تنهدت عميقاً:

ـ حسناً. اعتقد ان عليّ التوقف عن المواربة لاطلق عليك السؤال الذي كان يحرق لساني خلال الاسبوعين الماضيين. ماذا جرى بينك وبين السيد هنتلي؟

احمرّ وجه نيكول، وازدردت آخر رشفة قهوة من فنجانها ثم وضعته بروية على الطاولة. وقالت بصوت أجش:

ـ وهذا ايضاً ولّى امره.

ـ يؤسفني سماع هذا نيكول... كنت أراكما تخرجان معاً وقد فهمت من خلال الطريقة التي كان ينظر فيها اليك حين شاهدناه في كافتيريا الجامعة، ومن اشراقة وجهك حين تحدثت اليه، أن بينكما مشاعر خاصة حميمة، لذا فكرت... أوه.. حسناً ليس هذا من شأني.. كما اعتقد.

نهضت نيكول عن الطاولة ونظرت الى صديقتها:

ـ لا بأس آغني... أفهم ما تقصدين. لكن لا صلة لما تقولين بالواقع، خاصة وأن اليوت هنتلي لا يريد علاقة حقيقية بل لا يفهم ما تعنيه هذه العلاقة.

وضحكت بمرارة.. فهزت اغني رأسها بانقباض ووقفت قربها:

ـ هكذا اذن.. حسناً، تعلمي من الحياة. لم اكن اظنه رجلاً عابثاً.. بدا لي جاداً اكثر منه عابثاً.

فابتسمت نيكول:

ـ حسناً آغني.. كما قلتِ، ستعلمني الحياة. والآن فلنستعد للذهاب.

كانت جمعية مساعدة الاولاد المحرومين في لندن تقع في منطقة فقيرة قاسية، تتصاعد فيها ضحكات المتشردين من سلالم البيوت القذرة، وفيها عصابات من المراهقين تجوب الأرصفة، فوق

صناديق قمامة مقلوبة، وكان على نيكول ان تسير في أسوأ قسم فيها حتى تصل الى موقف الباص.

في الواقع، كان الشارع الرئيسي امام المدرسة مكتظاً، والسير فيه متواصل، وعلى رصيفه يتسكع العديد من الناس.

لكن كان هناك قسم بعد الاسوأ، عليها اجتيازه وصولاً الى تقاطع الطرق، مروراً بزقاق خال من الأنوار جانبي لا يكاد يتسع لمرور سيارتين.

في ذلك المساء الأول، واثناء سيرها على الرصيف المليء بالأقذار، أحست بالامتنان لأن الوقت ما يزال نهاراً. لكن حين يحل الخريف والشتاء، خاصة بعد تحويل الساعة، سيكون الوقت ظلاماً عند الساعة الرابعة.. لذلك يجب ان تغادر عملها باكراً.

بينما كانت تقترب ذلك المساء من الشارع المزدحم الى حيث تستقل الباص، وقعت عيناها على شيء ضخم الى يمينها لفت نظرها. ادارت رأسها قليلاً تطلب نظرة أوضح، فتوقفت مسمرة.. فعلى الشارع امامها، وخلف موقف الباص تماماً، تتوقف سيارة ضخمة انيقة.

لا.. هذا غير ممكن.. لا بد انها تتخيل.. لقد امتنع عن هذا التصرف منذ اشهر طويلة.. إن في لندن سيارات عديدة مثل هذه، تراها في كل مكان وكل يوم، امام المكاتب، المطاعم والمخازن.

رغم محاولتها إقناع نفسها بأنها ليست له، إلا إنها لم تستطع وهي تقترب من زاوية الشارع، إلا أن تسترق النظر، فحدّقت جيداً فيها.. لكن في هذه اللحظة وصل الباص. انسلت السيارة بنعومة الى زحام السير في الشارع وحين مرت بها، حاولت نيكول النظر

الى الداخل، إلا أن النوافذ كانت مغشاة بحيث لم يظهر فيها شيء.

منذ ذلك الوقت، أخذت تراها يومياً، فحيثما اتجهت كانت تجدها. فإما ان تكون السيارة متوقفة قرب موقف الباص بعد موعد المدرسة، او كانت تشاهد طيفاً طويلاً يختبيء في احد المداخل، وحين حل يوم الجمعة من ذلك الاسبوع اضطرت الى التساؤل عما اذا كانت تفقد عقلها.

يوم الاربعاء التالي، كان لديها موعد غداء مع دون وليونا في مطعم لانشستر.. وكانت آخر مرة قد ذهبت فيها الى هناك منذ شهر ايار الماضي حين التقت للمرة الأولى باليوت.

أثناء دخولها قاعة الطعام، تطلعت بحثاً عن صديقيها، واذا بها تشاهده يجلس الى طاولة في طرف القاعة الآخر.، عندها كادت تتجه إليه وتواجهه متهمة اياه باللحاق بها.

في تلك اللحظة، التفتت فوجدت نفسها تحدق بغضب في رجل غريب.. فأسرعت تحني رأسها.

كادت توشك على إظهار حماقتها وغبائها. واذا لم تتخلص من هذا «الهوس» سريعاً.. فسينتهي بها الامر بالقيام بحماقة فعلية... فأقسمت حينئذ انها من الآن وصاعداً، حتى ولو تيقنت بشكل اكيد من أنه هنتلي، فستتجاهله تماماً... فهذه هي الطريقة الوحيدة لتحافظ على تعقلها.

لكن ما كان يزعجها أنها في كل مرة اعتقدت أنها لمحته كانت تتمنى من اعماق قلبها ان يكون هو... وهنا يكمن الجنون.

اخيراً شاهدت دون وليونا فاسرعت نحو طاولتهما قائلة وهي تجلس:

ـ ها انتما.. كدت انسى كم يكون هذا المكان مزدحماً وقت الظهيرة.

سألها دون:

ـ كيف يسير عملك؟ امستعدة للتخلي عنه والعودة الى الاضواء؟

ضحكت:

ـ صعب... امهلني فرصة اولاً. لقد بدأت العمل في الاسبوع الماضي فقط.

فقالت ليونا:

ـ ما زلنا نأمل.. في الواقع لدينا عمل وشيك..

هزت نيكول رأسها بحزم:

ـ ما من مجال... فأنا احب عملي الحالي.

مضت تخبرهما عن أيامها الاولى في عملها هذا، ومع انها لاحظت بوضوح انها تضجرهما، إلا أن الحماس ساقها حتى ما عادت تستطيع ايقاف نفسها. اخيراً، وذلك حين انقطعت عن الحديث قليلاً، وقف دون معتذراً:

ـ سأذهب لأشتري السكائر.

ضحكت ليونا بعد ذهابه:

ـ انت فعلاً تحبين عملك الجديد، اليس كذلك؟

ـ حسناً ليونا، سأقفل فمي.. لم أقصد ان يهرب مني.

انحنت ليونا الى الامام لتحدثها بلهجة منخفضة:

ـ في الواقع، انا سعيدة لأنه ذهب فكلي شوق لأسألك عما حدث فعلاً بينك وبين اليوت هنتلي. فكل ما سمعته كان شائعات.

تنهدت نيكول بانزعاج... أولاً اغني والآن ليونا.. ايجب عليها ان تنشر اعلانات في الصحف تخبر العالم كل التفاصيل

الدقيقة عن علاقتهما؟

ـ لم يحدث شيء يا ليونا. تقابلنا بضعة اشهر، ثم وجدنا أن علاقتنا لن تنجح فكان أن انهينا كل شيء باتفاق مشترك.

هزت ليونا رأسها:

ـ حسناً، يجب ان اقول انك تصرفت بحكمة.. كنت دائماً فتاة ذكية. فأليوت ليس من طرازك. انت بحاجة الى رجل لطيف مستقيم، قدماه ثابتتان في الارض... ولقد شوهد اكثر من مرة مع امرأة اخرى ولم يكن قد مضى على فراقكما أسبوع أو يزيد.

سارعت تسأل قبل أن تتمكن من منع نفسها:

ـ اية امرأة؟ بيتي مانسفيلد؟

ضحكت ليونا:

ـ اتمزحين؟ تلك المزيفة؟ قد يكون الرجل عبقرياً في تجنب العلاقات الجادة، لكنه ليس خالياً من التمييز. اعطه حقه في الذوق السليم.. صحيح ان بيتي فتاة جيدة، لكنها لا تملك التفكير ولا الشخصية لتجذب رجلاً مثل هنتلي.

عاد دون الى الطاولة، فغيرت ليونا الحديث.. لكن طوال الغداء وما تبقى من النهار، دهشت نيكول من احساسها بالبؤس لأن اليوت كان برفقة امرأة أخرى.

بعد ظهر الجمعة، كانت سعيدة جداً لأن العطلة قد أتت، انها تحب عملها، لكن الايام التي مرت ارهقتها حتى باتت تحتاج الى استعادة نشاطها. أحست انها ستكون على ما يرام بعد فترة وذلك بعد أن تتأقلم مع جو المدرسة ومع التلاميذ لكن ما كان يزيدها ارهاقا شبح اليوت الذي ما غاب عن بالها.

كان الجو اليوم ينذر بالمطر، فحين اصبحت مستعدة للعودة الى

منزلها، تلبدت الغيوم السوداء بكثافة ولم تكن الساعة قد بلغت بعد الرابعة، واذا اسرعت، قد تتمكن من اللحاق بالباص باكراً وبذلك تهرب من عاصفة المطر التي تنذر بالتساقط وشيكاً.

لملمت اغراضها، أقفلت باب مكتبها، ثم سارت بسرعة عبر الردهة.. في الخارج، بدا الجو اكثر ظلاماً من العادة في مثل هذا الوقت من النهار، بسبب طبقة الغيوم السوداء، لكن الشارع المزدحم كان مضاءاً ومليئاً بالناس.

ما أن دخلت الزقاق الضيق حتى بدأت تحس بالتوتر.. فعلى مسافة غير بعيدة استطاعت رؤية انوار الشارع الرئيسي حيث موقف الباص. فسارعت خطواتها، متشوقة للوصول اليه.

كان ما يحيط بها يشتد ظلاماً كلما اقتربت من هدفها، لكن ما ان وصلت إلى منتصف الزقاق، حتى اعتم ما يحيط بها بشكل كئيب... وساد صمت كامل لم تعد فيه تسمع سوى وقع كعبي حذائها على الرصيف.

فجأة، تعالى من خلفها في الشارع الضيق الفارغ، هدير محرك سيارة، ناعم لم يكد يكسر الصمت... شدت على فكها، وابقت عينيها أمامها، لا تنظر يمنة ولا يسرى، وحثت الخطى اسرع فأسرع.

ثم سمعت باب السيارة ينفتح. وجسد مظلم يظهر منها ويتحرك بسرعة الى جانبها، ولم تدرك إلا وهي مرفوعة عن الرصيف محمولة، حدث كل شيء بسرعة حتى ان صدمتها منعتها من الصراخ، فكل ما استطاعت التفكير فيه هو أنها هوجمت، خطفت، وليس من يساعدها.

لم تعرف ما كان يجري بالضبط، إلا بعد أن شاهدت السيارة التي اصبحت معروفة لديها واقفة عند المنعطف ومحركها يعمل، عندها عرفت من يحملها. لكن بدلاً من أن يريح هذا التصرف بالها، جعلها تصبح عمياء من الغضب، فبدأت تقاومه.. لكنهما كانا قد اصبحا داخل السيارة التي أحكم إقفال أبوابها، وجلست في مقعد سيارة هنتلي الخلفي.

فصاحت تحرك مقبض الباب الى جانبها:

ـ دعني انزل من هنا في الحال:

قال لها اليوت بهدوء:

ـ لن يجديك هذا نفعاً. فالابواب تقفل آلياً.. كما انك قد تقتلين نفسك.. انظري الى السيارات حولك.

نظرت من النافذة فإذا بها ترى أنهم قد تجاوزوا موقف الباص وأصبحوا في الشارع الرئيسي، وهذا يعني أنها لن تستطيع الخروج من السيارة، وهي وإن صرخت وولولت طلباً للمساعدة لن تجد أذناً تسمعها بسبب هذا الزجاج السميك، الذي سيحول ايضاً دون أن يراها أحد. انها عالقة، وعليها ان تواجه الامر.

بعد أن رماها هكذا بوحشية داخل السيارة، لم يتحرك قيد أنملة ليلمسها، أو يضايقها باية طريقة... فارتدت الى زاوية المقعد قدر استطاعتها، وعقدت ذراعيها ثم حوّلت بصرها اليه.

ـ ماذا ستحقق من هذه الطريقة الوحشية المجرمة؟ دعني اؤكد لك أنك لن تنجح بتصرفك هذا معي... من تحسب نفسك....؟

صاح بها:

ـ اصمتي!

حدقت فيه. . كانت قد سمعت هذه اللهجة المخيفة منه قبلاً، لكنه لم يستخدمها معها قط. . . فصاحت:

ـ رويدك رويدك!

فالتفت إليها:

ـ قلت لك اصمتي!

كان صوته خفيضاً هذه المرة، لكن فيه وعيداً وتحذيراً:

ـ لدي اشياء اريد قولها لك، ولا اريد أن تقاطعيني في كل لحظة.

فصاحت:

ـ لن تفعل! لا حق لك. . .

مد يده ليكم بها فمها ثم قال بصوت متعقل، لطيف:

ـ نيكول. . . هل أنا مضطر الى كم فمك وتقييدك؟ سأفعل هذا لو اضطررت. . . سأفعل كل ما يلزمني وستصغين الي.

ـ هل لي على الاقل أن اسأل إلى اين ستأخذني؟

ـ الى المكان الذي تريدينه. اما الآن فسندور في الشوارع قليلاً.

أطبقت فمها، وحدقت متوترة خارج النافذة. . . فليتكلم حتى يوم القيامة، إذ لن تعبأ به، ولن تفتح فمها ثانية. وحين ينتهي، سيعيدها الى منزلها، وربما بعد هذه المرة لن تراه أبداً.

بقي صامتاً حتى وصلا الى «الهايد بارك» وانعطفت بهما السيارة الى طريق منحني يصل الى منطقة حرجية كثيفة. . وبدأت السماء تمطر. كان الطريق المغطى بالاشجار شديد الظلمة حتى عجزت عن رؤية وجهه، إلا أن اضواء سيارة قادمة من الجهة المقابلة أظهرت وجهه.

كان يحدق فيها، حين شاهدت هذه النظرة على وجهه، لم

تستطع تصديق ما رأت. . . فلم يكن الهدوء، وجو الثقة بالنفس هو الظاهر عليه بل العكس هو الصحيح فقد بدا أشبه بحيوان وحشي مجروح. قسماته القوية المتوحشة اتخذت تكشيرة الم وحاجباه السوداوان الكثيفان انخفضا حتى كادا يخفيان عينيه، أما شعره وربطة العنق فلم يكون مستويين، هذا عدا اللحية النامية بعض الشيء على وجهه.

حين شاهدها تنظر اليه، استعاد رباطة جأشه بسرعة، وعاد القناع المألوف الى مكانه. مد يده ليسوى ربطة عنقه ثم مررها فوق شعره، ورفع الحاجز الزجاجي الذي يفصلهما عن السائق.

سرعان ما توقفت السيارة في موقف خال من السيارات تحت نور الشارع رأساً، حين صمت المحرك تكلم هو فجاء صوته خفيضاً فيه عزم وتصميم. وكأنه يتفوه بخطاب حفظه عن ظهر قلب.

ـ سأخبرك وقائع مساء ذلك السبت كامله. ولا أطلب منك إلا الإصغاء. ثم لك بعد ذلك ان تفعلي ما تشائين. . . ممثلنا في نيويورك وصل الى لندن كما هو مقرر لكنه كان قد أحضر زوجته معه. لن اضجرك بالتفاصيل، لكنه جاء لسبب هام، وإلا لما تخليت عن فرصة أن اكون برفقتك. قضينا طوال يوم السبت في المكتب نراجع اعمالنا، وفي المساء وجدنا اننا نحتاج إلى متابعة النقاش حول مائدة العشاء.

صمت لحظات مقطباً، وهي عادته عندما يكون غارقاً في تفكيره. ثم اعاد النظر اليها مما اجبرها على النظر الى عينيه.

ـ حين وصلت الى المطعم كانت معه زوجته التي وضعت على عاتقها إحضار امرأة أخرى لنكون رفيقتين، وهي تلك التي ظهرت

في الصحيفة. وجدت نفسي في هذا الوضع الذي لم يكن في مقدوري تركه.

فتح يديه على وسعهما ثم أردف مكتئباً:

ـ ثم ظهر ذلك المصور... وما تبقى اصبح من التاريخ... كنت اود ان امنعه، لكن في تلك اللحظة لم يتبادر الى ذهني ان الصورة ستنتهي في صفحة الشائعات، او انك سترينها... او انك ستهتمين بها.

نظرت اليه بحدة، محاولة قراءة افكاره، لكن وجهه لم يكشف عن شيء... فقالت ببطء:

ـ اتحاول ان تقول لي انك لا تعرف ان بيتي ممثلة ناشئة كان منتهى املها ان تقوم بذاك الدور الذي قمت به مؤخراً.

نظر اليها حائراً:

ـ بيتي؟ أهذا اسمها؟ لا.. بالطبع لم اكن اعرف. لم اسمع بها او اشاهدها من قبل في حياتي. لقد كانت معنا بصفتها صديقة زوجة وكيلي.

هل تصدقه؟ أهو كاذب محترف؟ لكن لماذا يزعج نفسه بالكذب؟ ارادت من كل قلبها ان تصدقه، وان تثق به.. وتابع بلهجة حذرة:

ـ كل ما له اهمية هنا، هو أن تعرفي انني لم اكذب عليك.

ـ هل انتهيت؟

ـ اجل.

ـ وهل تعترف انني اصغيت لك دون أن أقاطعك ولو مرة؟

ـ اجل.

ـ اذن... اتسمح أن توصلني الى منزلي.. حالاً؟

صاح ساخطاً:

ـ انت لم تصدقيني.

ـ اوه.. بلى... صدقت كل كلمة قلتها.

ـ مع ذلك تريدين ان اوصلك الى منزلك؟

ـ اجل.. هذا ما وعدتني به.

دون تردد، دق على الزجاج الفاصل، فانطلقت السيارة مجدداً من أنوار الطريق الى الظل الذي حجب عنها رؤية وجهه. ولا تريد أن تراه. لقد قال ما يريد، واصغت اليه.. وعنت ما تقول حين قالت انها تصدقه، فهو لم يكذب بشأن بيتي... لكن لا فرق لديها.. إذ لم يتغير شيء... فالواجهة الجليدية ما زالت هي هي، وهو لم يتفوه بكلمة واحدة تتعلق بمشاعره نحوها او بحبه.

ارجعت رأسها الى الوراء واغمضت عينيها... تحسّ بالاكتئاب الآن اكثر من الوقت الذي ظنت فيه انها لن تراه.. على الاقل حينها كانت توجه اللوم اليه لخيانة ثقتها به. وكان الجرح على وشك أن يندمل... وها قد عاد الآن لينفتح وينزف.

انفتحت أبواب السماء وكانها تنتقم من اشهر الصيف، فتساقط وابل من المطر الذي كان يضرب ضرباً سطح ونوافذ السيارة، وتابعا سيرهما بصمت الى ان وصلا امام مبنى شقتها. حين توقفت السيارة بهما، التفتت اليه:

ـ لا تخرج... فالمطر شديد.

ثم، وقبل أن يتمكن من ايقافها، فتحت الباب وخرجت تحت وابل المطر ركضاً نحو المدخل، كانت زخات المطر تلسع وجهها، والماء يتطاير من الرصيف الى ساقيها... وفي خلال هذه الثواني القليلات حتى وصولها الى مظلة المدخل ابتلت بالماء حتى

الغرق.

قبل أن تدخل، التفتت تريد إلقاء نظرة اخيرة عليه قبل أن يذهب، وإذ بالسيارة الفاخرة قد انطلقت... فغاصت روحها المعنوية إلى الحضيض... لقد ذهب الآن فعلاً، وخرج من حياتها الى الابد.

نظرت الى السيارة المبتعدة في الظلام تحت المطر الى ان توارت انوارها الحمراء عن ناظريها... لكنها وبينما هي واقفة هناك، تتقطر منها المياه، راحت تسائل نفسها ما اذا كانت قد وقعت لتوها على مصيرها.. وما إذا كانت مخطئة في الاصرار على سماع تلك الكلمات التي على ما يبدو أنه غير قادر على التلفظ بها.

نعم هو ارتكب اخطاءاً كثيرة في عناده واصراره على ملاحقتها، لكن اي رجل يقوم بما قام به لكسب ودها، لا شك في انه شديد الاهتمام بها... هل لتلك الكلمات حقاً أهمية؟ أو ليست كبرياؤها هي التي تفرق بينهما في الواقع؟

فجأة شاهدته.. واقفاً عند المنحنى، والمطر ينهمر عليه، يداه في جيبي معطفه، وكتفاه محدودبتان... خفق قلبها تراقبه مسمّرة، وهو يتقدم ببطء نحوها.

وقف امامها، يحدق فيها محنياً رأسه، ثيابه وشعره يقطران ماء، وزخات المطر ما تزال تضرب وجهه وتتسلل الى ما تحت ياقة معطفه، أما عيناه السوداوان فغارقتان في بؤس شديد.

ـ لا استطيع تركك.. لا استطيع الاستغناء عنك.

ما ان التقت عيونهما، حتى تزعزع عزمها، وتبخرت آخر مقاومة

في نفسها.. واحست انها مرتاحة كثيراً لرؤيته، وسعيدة لأنه بقي، ولأنها لم تخسره رغم كل شيء.

قالت له اخيراً:

ـ الافضل ان تصعد معي لتجفف نفسك.

حين شاهدت نظرة الارتياح على وجهه، علمت انها فعلت الصواب. استدارت ليلحق بها عبر فناء المبنى الى المصعد، والماء يتقطر منهما على السجاد.. مضت المسيرة الى شقتها دون كلام يذكر. وحين دخلا الشقة، قادته الى المطبخ.

ـ ساحضر لك بعض المناشف لتجفف نفسك.

في الحمام خلعت بسرعة ملابسها المبتلة، وارتدت روباً دافئاً، ثم لفت منشفة على رأسها.. وهي تدرك أنها تقوم بمخاطرة، لا تدري ما سيكون بعدها. كانت تعرف انه ينتظرها وراء هذه الردهة.

حين دخلت المطبخ، رأته قد خلع معطفه وسترته، وقميصه، ووقف عند النافذة يداه على حافتها السفلى، يحدق في المطر، الذي كان يطرق الزجاج طرقات قوية حتى جعلته لا يسمع وقع اقدامها.

وقفت في باب المطبخ تراقبه: تراقب الظهر اللين القوي العاري، والكتفان العريضتان والرأس الاسود شعره، صدمها جماله الذكري... وعندها عرفت انها تريده... مهما كانت الشروط. قالت له وهي تتقدم نحوه تحمل المنشفة:

ـ هاك!

حين سمع صوتها، التفت ببطء، فإذا شعره ما يزال مبتلاً ومتدلياً فوق جبينه، تناول المنشفة منها صامتاً، فجفف بها ذراعيه قبل أن يمررها بقوة على رأسه.. عندما انتهى، وضعها على

الطاولة، وتقدم خطوة نحو نيكول:

ـ نيكول. يجب ان اتحدث إليك للمرة الاخيرة... لقد اخبرتك الحقيقة الكاملة عن تلك المرأة، وقلت انك صدقتني، لكن ذلك لم يؤدِ الى تغيير يذكر. واريد أن اعرف لماذا. لا بد أن هناك المزيد.

لم تستطع الحراك، ولا الكلام. فانتظر بضعة ثوان ثم قال:

ـ اعتذر عن اختطافك الليلة. فقد كانت هي الوسيلة الأخيرة التي رأيتها، لم تنجح وسيلة من الوسائل، حاولت شراءك، حاولت معاملتك برقة، حاولت الابتعاد... ولقد قلت لك مرة ان هناك شيئاً واحداً لا أفعله، هو الاستسلام... لكن لو قلت لي بكل صدق، الآن، انك لا تعبأين بي ابداً... فسأخرج من هنا ولن احاول رؤيتك ثانية.

لن تقدر.. فالكلمات ستأبى الخروج من فمها. رفعت نظرها اليه عاجزة، واذا هو ينتظر ردها.. لكن ما عساها تقول؟

هز كتفيه، ثم ابتسم لها متحدياً:

ـ اظنك تهتمين قليلاً... فانا لا احب نفسي كثيراً ولا اعتقد أنك انزعجت لأنني كنت مع امرأة اخرى.

فجر كلامه هذا السد:

ـ حسناً انت مخطىء! لقد أزعجني هذا... أزعجني كثيراً.

نظر اليها ببلادة عدة ثوان:

ـ اتعنين...

رفعت رأسها متحدية:

ـ اجل! لقد احسست بالغيرة.

هز رأسه مرتبكاً:

ـ لست افهم. لماذا لم تقولي هذا؟ حاولت ان اكون صبوراً. فأبقيت مشاعري طي الكتمان...

فصاحت به:

ـ ربما هذا هو لب المشكلة! ما تدعوه أنت صبراً، واعتباراً لاحساسي المرهف، اعتبرته انا تلاعباً مصطنع. اكنت تظن انني قد أنهار لو تركتني اعرف مشاعرك؟ أذوب؟ أتحلل واتبخر في الهواء؟ انا لست مصنوعة من البلاستيك، ولست شتلة زهور رقيقة... انا انسانة، امرأة من لحم ودم في جسدها حياة، ومشاعر ورغبات خاصة. وانا بحاجة الى أن أعرف إن كنت تهتم بي!

ـ ولكنني اهتم بك! حاولت أن اظهر لك اهتمامي هذا بكل الطرق الممكنة.

ـ اجل.. اعترف لك بهذا... لكنك لم تقل لي هذا مرة واحدة.

اتسعت عيناه من الذهول.

ـ لم اكن اعتقد ان عليّ ان افعل. اوه.. نيكول.. لو كنت اعلم! طبعاً احبك.. كيف تشكين في هذا؟ احببتك منذ شاهدتك.

ـ اليوت... هذا كل ما كنت اتمنى سماعه. أهو صعب؟

تقدم نحوها يجتاز الهوة الفاصلة بينهما:

ـ نيكول... أنا اقارب الاربعين. وأريد بيتاً وعائلة... اريدك انت حبيبتي... اذا كنت تقبلين بي.

وقف ملتصقاً بها دون ان يلامسها، ورفع رأسها لينظر الى عينيها وكأنه يجاهد ليخترقهما نحو اعماق روحها... وما رآه هناك ارضاه بالتأكيد.. ففي اللحظة التالية كان يمد لها يديه وكانت هي ترمي نفسها اليه، حين عقد ذراعيه حول جيدها كانت تدفن وجهها في

صدره العريض. تحس بأنها تود البكاء والضحك في آن. بدا لها أن من حقها أن تكون بين ذراعيه بعد طول فراق.

تمتم في اذنها:

ـ انت تهتمين اذن. كنت اعرف انني لم اكن مخطئاً في هذا.

رفعت رأسها اليه، ومدت أناملها الى فمه العريض:

ـ طبعاً اهتم بك... لأنني احبك اليوت.. اتفهم الآن كم هي مهمة الكلمات؟

هز رأسه:

ـ وجدت صعوبة في التعبير عن مشاعري بالكلمات، بل وجدت صعوبة في الاعتراف بأن لدي مشاعر.. تعلمت في طفولتي أنه من الاسلم اخفاء المشاعر، حتى لا يشعر المرء بالألم. لكنني احبك، ولم أقل لأية امرأة أخرى هذا في حياتي.

حضنها بشدة، ذقنه يستريح على قمة رأسها. في وقت كان الدفء ينمو ببطء بينهما.. اشتدت قبضته عليها، وبدأت يداه تتحركان على ظهرها، بدقة وحذر. فضغطت نفسها عليه اكثر ورفعت وجهها.

حدق فيها مطولاً، ثم أحنى رأسه نحوها ببطء، رافعاً يديه ليمسك بوجهها، ثم راحت أنامله تتحرك على حدود قسمات وجهها، واحداً بعد اخر... سمعت أنفاسه الخفيفة وأحست بعلو وهبوط صدره، فاغمضت عينيها واستسلمت.

فجأة، انزل يديه الى كتفيها وتحرك خطوة الى الوراء. وقد غدت في عينيه نظرة مشبعة برغبة بدأ يكبحها في نفسه بجهد. وقال لها بصوت منخفض:

ـ نيكول... نيكول.

وعاد يلف ذراعيه حولها، يحتضنها ويسحقها في عناق قوي. فرفعت ذراعيها أيضاً لتطوق عنقه... حين استسلمت له هذا الاستسلام، تأوه ورفع رأسه ثانية ليقول:

ـ نيكول، يا فتاتي الحبيبة... اريدك!

ـ اعرف.

ودفنت رأسها في صدره، تضغط وجنتها على عضلاته التي تعالت منها الى سمعها صدى خفقات قلبه القوية وبينما هي غارقة هناك احست بأنها ضاعت في أحاسيس لم تعرفها من قبل... ففتحت عينيها لتنظر اليه... فاذا وجهه احمر، وإذا عيناه تلمعان، وشعره ما يزال رطباً، يتدلى على جبهته، وانفاسه لاهثة متهدجة.

في تلك اللحظات بدا لها اجمل رجل في الوجود كله... لا شيء في منظره تغير حقاً، لكن المشاعر التي ايقظها فيها بمداعباته الرقيقة حولته في عينيها الى اجمل بطل في العالم.

عادت لتضع خدها على صدره، فأحست برعدة تجتاح جسده من جرّاء لمستها التي طفقت تتجول من صدره الى ظهره فخصره.. فعاد يمسك وجهها بين يديه وينظر الى عينيها...

ـ نيكول... احبك فعلاً يا حبيبتي... وأعدك انني سأبقى على حبك الى الابد.

تعرف انه رجل يفي بوعوده وتعرف انه يشرّف التزاماته، فتمتمت بسعادة:

ـ وانا احبك كذلك اليوت.

ـ وهل ستتزوجينني؟

هزت رأسها وكأنها تحلم قائلة:

ـ هذا عرض أستطيع القبول به.
ومدت يديها ثانية تطوق عنقه.

* * *

www.elromancia.com
مـــر مـــوديـــة